الباب السابع والعشرون

الثورة والتجديد

الفصل الأول

الخطر الأبيض

النزاع بين آسية وأوربا — البرتغاليون — الأسبان — الهولنديون — الإنجليز — تجارة الأفيون — حروب الأفيون — فتنة بنج تاى — منج — حرب اليابان — محاولة تمزيق الصين — « الباب المفتوح » — الإمبراطورة الوالدة — إصلاحات كوانج شو — عزله — الملاكون — العزامة الحربية

اتخذت هذه القوى شكل الانقلاب الصناعى . فقد نشطت أوربا وتجدد شبابها على أثر كشف القوى الآلية واستخدامها فى صنع الآلات ومضاعفة الإنتاج . وما لبثت أوربا أن وجدت نفسها قادرة على إنتاج سلع أرخص من التى تنتجها أية أمة أو قارة ، ظلت تعتمد على الصناعات والحرف اليدوية ، وعجزت أوربا عن تصريف منتجات آلاتها بين سكانها لأنها كانت تؤدى لعمالها أجوراً أقل بعض الشىء من القيمة الكاملة لجهودهم ، واضطرت من أجل ذلك إلى البحث عن أسواق خارجية لتصرف فيها ما زاد من منتجاتها على حاجتها ، فكان لا بد لها أن تستعمر ودفعها الاستعمار إلى الحروب . وأصبح القرن التاسع عشر ، بحكم الظروف القائمة فيه وبدافع الاختراعات الكثيرة التى تعاقبت فى خلاله ، لا ينقطع فيه النزاع بين ما كان فى آسية من حضارة قديمة ناضجة منهوكة ، وما قام فى أوربا الصناعية من حضارة فتية ، قوية منهومة .

وكان الانقلاب التجارى الذى حدث فى أيام كولمب هو الذى أفسح الطريق ومهد السبيل للانقلاب الصناعى ، فقد كشف الرحالة عن أراضى قديمة ، وفتحوا ثغوراً جديدة ، ونقلوا إلى الثقافات القديمة منتجات الغرب وأفكاره . وكان البرتغاليون المغامرون فى أوائل القرن السادس عشر قد استولوا على جزائر ملقا ، وكانوا من قبل قد ثبتوا أقدامهم فى بلاد الهند ، ثم طافوا حول شبه جزيرة الملايو ، ووصلوا بسفائنهم الجميلة ومدافعهم الرهيبة إلى كانتون (١٥١٧) .

وكان أولئك القادمون خلقاً متوحشين لا يخضعون لقانون ، ويعدون كل الشعوب الشرقية فريسة مشروعة مباحة لهم ، ولم يكونوا يفترقون إلا قليلا عن القراصنة ... إن كان بين هؤلاء وبينهم فرق على الإطلاق[1] . . ، وعاملهم الصينيون معاملة القراصنة فألقوا بممثليهم فى السجون ، ورفضوا ما عرضوه عليهم من تجارة حرة ، وكثيراً ما طهّر الصينيون الغضاب الحانقون الأحياء التى استقر فيها البرتغاليون بذبح ساكنيها . ولكن البرتغاليين أعانوا الصينيين على قتال غيرهم من القراصنة ، فكان جزاؤهم على هذه المعونة أن منحتهم بيكين حق الإقامة فى مكاو وحكمها كأنها ملك لهم ، فشادوا فى تلك المدينة مصانع كبيرة لصنع الأفيون ، وأجازت لهم أن يستخدموا فى هذه المصانع الرجال والنساء والأطفال . ودرت عليهم هذه الصناعة أرباحاً عظيمة يكفى لمعرفة مقدارها أن نقول إن مصنعاً واحداً كان يعود على الحكومة البرتغالية التى أنشئت فى هذا الإقليم بربح مقداره ١٫٥٦٠٫٠٠٠ دولار فى كل عام[2] .

ثم جاء الأسبان وفتحوا جزائر الفلبين فى عام ١٥٧١ واستقروا فى جزيرة فرموزا الصينية ؛ وأعقبهم الهولنديون ، وفى عام ١٦٣٧ أقبلت خمس سفن إنجليزية وصعدت فى النهر إلى كانتون ، وأسكتت بمدافعها القوية المدافع التى قاومتها ، وأنزلت فى المدينة بضائعها[3] . وعلم البرتغاليون الصينيين شراء الدخان وشربه ، ثم بدأ فى مستهل القرن الثامن عشر استيراد الأفيون من الهند إلى الصين . وجرمت

الحكومة الصينية على الشعب تعاطى الأفيون ، ولكن عادة تعاطيه انتشرت انتشار النار فى الهشيم حتى بلغ ما استورد منه إلى الصين فى عام ١٧٩٥ أربعة آلاف صندوق(*) . وحرمت الحكومة استيراده فى تلك السنة وكررت هذا التحريم فى عام ١٨٠٠ ولجأت إلى المستوردين وإلى الأهلين على السواء تبين لهم ما لهذا المخدر القوى من أثر فى إصعاف حيوية الأمة . ولكن تجارة الأفيون لم تنقطع رغم هذا التحريم ، ولم تكن رغبة الصينيين فى شرائه أقل من رغبة الأوربيين فى بيعه ، ولم يجد الموظفون حرجاً فى تناول الرشاوى التى كانت تقدم إليهم ليتغاضوا عن أوامر التحريم بل كانوا يتقبلونها شاكرين .

وأصدرت حكومة بيكين فى عام ١٨٣٨ أمراً شديداً فى تنفيذ قرار تحريم استيراد الأفيون ، وجاء موظف قوى يدعى لن تزه — شو فأمر من فى كانتون من المستوردين الأجانب أن يسلموا ما فى مخازنهم منه . فلما أبوا حاصر الأحياء الأجنبية وأرغمهم على أن يسلموه عشرين ألف صندوق من هذا المخدر ، ثم أقام فى كانتون شبه حفلة أفيونية أتلف فيها هذه الكمية كلها . وعلى أثر هذا انسحب البريطانيون إلى هنج كنج وبدأت « حرب الأفيون » الأولى . وقال الإنجليز إن الحرب لم تكن حرب أفيون ، بل كان سببها أنهم غضبوا لما أظهرته الحكومة الصينية من قحة وغطرسة فى استقبالها ممثليهم أو برفضها استقبالهم ، وما وضعته أمامهم من عقبات فى صورة ضرائب باهظة ومحاكم فاسدة مرتشية أقامتها القوانين والعادات الصينية تعطل بها تجارة منظمة مشروعة . وأطلقوا المدافع على المدن الصينية التى كان فى وسعهم أن يصلوا إليها من الشاطئ ، وأرغموا الصين على طلب الصلح باستيلائهم على مصب القناة الكبيرة عند شنكيانج . ولم تذكر معاهدة نانكنج شيئاً عن الأفيون ، وتخلت الصين بمقتضاها عن هنج كنج إلى

(*) يمكن تقدير ثمن هذه الكمية إذا ذكرنا أن قطعة من الأفيون يتسع لها جيب صديرية الرجل يبلغ ثمنها ثلاثين دولاراً .

البريطانيين ، وأرغمت الصين على تخفيض الضرائب إلى ٥ ٪ ، وفتحت للتجارة الأجنبية خمسة « ثغور معاهدات » (كانتون ، وأموى ، وفوتشو ، وننجپو ، وشنغهاى) ، وفرضت على الصين غرامة حربية لتغطية نفقات الحرب وما أتلفته من أفيون ، واشترطت أن يحاكم الرعايا البريطانيون فى الصين ، إذا اتهموا بمخالفة قوانين البلاد ، أمام محاكم بريطانية[٥] . وطلبت عدة دول أخرى منها الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا أن تطبق هذه « الامتيازات الأجنبية » على تجارها ورعاياها المقيمين فى الصين وأجيبت إلى طلبها .

وكانت هذه الحرب بداية انحلال النظام القديم . ذلك أن الحكومة خذلت أشد الخذلان فى نزاعها مع الأوربيين ، فقد سخرت منهم أولا ، ثم تحدتهم بعدئذ ، ثم خضعت لهم آخر الأمر ، ولم تقد الألفاظ الظريفة المعسولة فى إخفاء الحقائق عن الوطنيين المتعلمين أو الأجانب المتربصين .

وسرعان ما ضعف سلطان الحكومة فى كل مكان تسربت إليه أخبار هزيمتها ، وما لبثت القوى التى كانت من قبل صامتة خاضعة — والتى كانت تظل صامتة خاضعة لولا هذه الهزيمة — ما لبثت هذه القوى أن ثارت علناً على حكومة پيكين . من ذلك أن وطنيا متحمساً يدعى هونج سيو — شوان ، بعد أن تعلم طرفاً من البروتستنتية وتراءت له بعض الخيالات الوهمية ، اعتقد فى عام ١٨٤٣ أن الله قد اختاره ليطهر الصين من عبادة الأوثان ويحولها إلى المسيحية . وبعد أن بدأ هونج عمله بهذه الدعوة المتواضعة تزعم آخر الأمر حركة ترمى إلى القضاء على أسرة المنشو الحاكمة وإيجاد أسرة جديدة هى أسرة التاى بنج أى السلم العظيم ، وحارب أتباعه حرب الأبطال البواسل يحدوهم التعصب الدينى من جهة والرغبة فى إصلاح الصين على غرار الدول الأوربية من جهة أخرى ، وحطموا الأصنام ، وقتلوا المخالفين من الصينيين ، وأتلفوا كثيراً من دور الكتب والمجامع العلمية القديمة ومصانع الخزف القائمة فى چنچ ده — چن ، واستولوا على نانكنج وظلت فى

أيديهم اثنتى عشرة سنة (١٨٥٣ — ٦٥) ، وزحفوا على پيكين وزعيمهم من خلفهم فى مأمن من الأعداء منغمس فى ترفه وملذاته ؛ ولكنهم هزموا وتشتتوا لعجز قادتهم ، وارتدوا إلى أحضان إخوانهم مئات الملايين الصينيين[٦] .

وبينما كانت فتنة تاى — پنج الصماء تمزق الصين وتقطع أوصالها اضطرت الحكومة إلى مواجهة أوربا مرة أخرى فى « حرب الأفيون » الثانية (١٨٥٦ — ١٨٦٠) . وكان سببها أن بريطانيا العظمى ، تعاونها فرنسا والولايات المتحدة معاونة تقوى تارة وتضف تارة أخرى ، طابت إلى الصين أن تجعل تجارة الأفيون تجارة مشروعة (وكانت هذه التجارة قد ظلت قائمة بين الحربين رغم ما صدر من الأوامر بتحريمها) ، وأن تسمح لها بالدخول فى مدن جديدة غير التى كانت قد سمح لها بدخولها ، وأن يستقبل الرسل الغربيون بما يليق بهم من التكريم فى بلاط پيكين . فلما رفض الصينيون هذه المطالب استولى البريطانيون والفرنسيون على كانتون ، وأرسلوا حاكمها مقيداً بالأغلال إلى الهند ، واقتحموا حصون تينتسين وزحفوا على العاصمة ، ودمروا القصر الصيفى انتقاماً لما نال مبعوثى الحلفاء من تعذيب وقتل على يد الصينيين فى پيكين . وأملى الغزاة الظافرون على المهزومين معاهدة فتحت لهم بمقتضى شروطها ثغور جديدة كما فتح نهر چنج — دزه للتجارة الأجنبية ، وحددت طريقة لاستقبال الوزراء الأمريكيين والأوربيين فى الصين على قدم المساواة مع الوزراء الصينيين ، ووضعت الضمانات القوية لسلامة المبشرين والتجار الأجانب والسماح لهم بممارسة نشاطهم فى جميع أجزاء الصين ، وأخرجت البعثات التبشيرية من اختصاص المحاكم والموظفين . وزادت فى امتيازات أبناء الأمم الغربية وتحررهم من الخضوع لقوانين البلاد ، وأعطت بريطانيا قطعة من الأرض مقابلة لهنج كنج ؛ وجعلت استيراد الأفيون عملا مشروعاً ، وفرضت على الصين غرامة حربية لينفق منها على إخضاعها لسلطان الغربيين وتدريبها على أساليبهم .

وشجعت الأمم الأوربية انتصاراتها السهلة فأخذت تقتطع من الصين قطعة بعد قطعة ، فاستولت الروسيا على الأراضى التى تقع فى شمال نهر عامور وشرق نهر الأوسورى (١٨٦٠) ، وانتقم الفرنسيون لموت أحد المبشرين بالاستيلاء على الهند الصينية (١٨٨٥) ، وانقضت اليابان على جارتها ومصدر حضارتها وأثارت عليها حرباً فجائية (١٨٩٤) ، وهزمتها بعد عام واستولت على فرموزا وحررت كوريا من الصين لتستولى عليها هى فيما بعد (١٩١٠) ، وفرضت على الصين غرامة حربية تبلغ ٠٠٠ر٠٠٠ر١٧ دولار لما سببته لها من متاعب جمة[٧] . ومنعت الروسيا اليابان أن تستولى على شبه جزيرة لياتنج على أن تؤدى الصين إلى اليابان غرامة إضافية ، فلما انقضت ثلاث سنين من ذلك الوقت استولت الروسيا نفسها على شبه الجزيرة وأقامت فيها عدة حصون منيعة . وكان مقتل اثنين من المبشرين على يد الصينيين سبباً فى استيلاء ألمانيا على شبه جزيرة شانتنج (١٨٩٨) ، ثم قُسمت الدولة الصينية التى كانت تحكمها من قبل حكومة قوية إلى « مناطق نفوذ » تستمتع فيها هذه الدولة الأوربية أو تلك بامتيازات فى التعدين أو التجارة لا تشاركها فيها غيرها من الدول . وخشيت اليابان أن تقسم الصين تقسيما حقيقياً بين الدول الغربية ، وأدركت شدة حاجتها إلى الصين فى مستقبل الأيام ، فانضمت إلى أمريكا وطالبت الدولتان بسياسة « الباب المفتوح » ، أى بحق الدول جميعاً فى الاتجار مع الصين على قدم المساواة رغم اعترافها بما للدول فى الصين من « مناطق نفوذ » ، على أن تكون الضرائب الجمركية ونفقات النقل واحدة لجميع الدول على السواء . وأرادت الولايات المتحدة أن تضع نفسها فى مركز يمكنها من أن تساوم على هذه المسائل ، فوضعت يدها على جزائر الفلبين (١٨٩٨) وأعلنت بعملها هذا عزمها على أن تشترك فى النزاع القائم من أجل الاتجار مع الصين .

وفى هذه الأثناء كان فصل آخر من الرواية يمثل وراء جدران القصر الإمبراطورى فى پيكين . ذلك أنه لما دخل الحلفاء عاصمة الصين ظافرين فى

نهاية « حرب الأفيون » الثانية (١٨٦٠) فر الإمبراطور الشاب شيان فنج إلى جيهول حيث توفى بعد عام واحد من ذلك الوقت وترك العرش لابنه البالغ من العمر خمس سنين ، فما كان من زوجة الإمبراطور الثانية أم ذلك الغلام إلا أن استولت على مقاليد الحكم وتسمت باسم تزه شى — وعرفها العالم باسم الإمبراطورة الوالدة — وحكمت الصين حكما طيبا صارما مجرداً من الرحمة دام جيلا كاملا . وكانت هذه السيدة فى شبابها قد حكمت البلاد بقوة جمالها ؛ أما الآن فقد حكمتها بقوة إرادتها . ولما مات ولدها عند بلوغه سن الرشد (١٨٧٥) لم تعبأ الإمبراطورة بالسوابق ولم تأبه بالمعارضين وأجلست على العرش غلاماً قاصراً — جوانج تشو — واستبقت مقاليد الحكم فى يدها . وحافظت هذه الإمبراطورة الجريئة على السلام فى بلاد الصين نحو ثلاثين عاماً مستعينة على ذلك برجال من دهاقين السياسة أمثال لى هونج — چانج ، وأرغمت الدول الجشعة على أن تحسب للصين بعض الحساب . فلما أن انقضت اليابان على الصين فجاءة ، وأسرعت الدول الأوربية إلى تقطيع أوصال البلاد تقطيعاً جديداً بعد انتصار اليابانيين عليها ، قامت فى عاصمة الصين حركة قوية تطالب بأن تحذو حذو اليابان التى أخذت بأساليب الدول الغربية — أى أن تجيش جيشاً قوياً ، وأن تنشئ المصانع وتمهد الطرق ، وأن تحاول الحصول على الثروة الصناعية التى مولت بها اليابان وأوربا حروبهما الظافرة . وقاومت الإمبراطورة ومستشاروها هذه الحركة بكل ما لديهم من قوة ، ولكن جوانج شو انضم إليها سراً ، وكان قد أذن له أن يتربع على العرش وأن يكون إمبراطوراً بحق . فلم تشعر الإمبراطورة ومستشاروها إلا وقد أصدر جوانج إلى الشعب الصينى (فى عام ١٨٩٨) من غير أن يستشير « بوذا العجوز » (وهو الاسم الذى كانت حاشية الإمبراطورة تطلقه عليها) عدة مراسيم عجيبة لو أن البلاد قبلتها وعملت بها لسارت سيراً حثيثاً سلميا فى طريق الأخذ بأساليب الغرب ونظمه ، ولحال أخذها بها دون سقوط الأسرة المالكة وتدهور الأمة فى هاوية الفوضى والشقاء .

فقد أمر الإمبراطور الشاب بإقامة نظام جديد للتعليم ، وإنشاء مدارس لا يقتصر التعليم فيها على كتب كنفوشيوس وأتباعه القدماء ، بل تدرس فيها أيضاً الثقافة الغربية فى العلوم والآداب والفنون الصناعية ؛ وشجع على إنشاء الطرق وإصلاح الجيش والبحرية ، وكان يهدف بهذا إلى الاستعداد لمواجهة « الأزمة » المقبلة على حد قوله هو « لأننا محوطون من كل ناحية بجيران أقوياء يريدون بختلهم أن يظفروا بنا ، ويحاولون بتألبهم علينا أن يغلبونا على أمرنا »[٨] . وهال الإمبراطورة الوالدة أن يصدر الإمبراطور هذه المراسيم التى رأت فيها تطرفاً لا تحمد مغبته ، فسجنت چوانج شو فى أحد القصور الإمبراطورية ، ونقضت مراسيمه ، وقبضت بيدها مرة أخرى على أزمة الحكم فى الصين .

وبدأ فى ذلك الوقت رد فعل عنيف ومعارضة قوية لجميع الأفكار الغربية اتخذتهما الإمبراطورة الداهية عوناً لها على الوصول إلى أغراضها . وكان بعض العصاة قد أقاموا فى البلاد جماعة تعرف باسم أى هو — چوان ؛ أى قبضات التوافق الصالحة . ويطلق عليهم المؤرخون اسم « الملاكمين » (البكسر) . وكانت هذه الجماعة تهدف فى الأصل إلى خلع الإمبراطورة والأسرة المالكة . ولكن الإمبراطورة أفلحت فى إقناع زعمائها بأن يوجهوا هذه الحركة وقوتها لمقاومة الغزاة الأجانب بدل أن يوجهوها لمقاومتها هى . وقبل الملاكمون أن يصدعوا بأمرها ونادوا بإخراج جميع الأجانب من بلاد الصين ، وجرفهم تيار الوطنية العارمة فشرعوا يذبحون المسيحيين بلا تفريق بين الطيب منهم والخبيث فى كثير من أنحاء الصين (١٩٠٠) . فما كان من الجيوش المتحالفة إلا أن زحفت مرة أخرى على پيكين ، وكان زحفها فى هذه المرة لحماية مواطنيها الذين استولى عليهم الرعب فاختبئوا فى أركان دور السفارات الأجنبية . وفرّت الإمبراطورة وحاشيتها إلى شيانغو ، وانقضّت جيوش إنجلترا وفرنسا وروسيا وألمانيا واليابان والولايات المتحدة على المدينة ، وأعملت فيها السلب والنهب ،

وقتلت كثيراً من الصينيين انتقاماً منهم لمواطنيها ، وخربت كثيراً من الممتلكات القيّمة أو نهبتها(*) . وفرض الحلفاء على عدوهم المهول المغلوب غرامة حربية مقدارها ٣٣٠٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار يجمعها الأوربيون من المكوس المفروضة على الواردات الصينية وعلى احتكار الملح . على أن جزءاً كبيراً من هذه الغرامة قد رفعته فيما بعد الولايات المتحدة ؛ وبريطانيا العظمى ، والروسيا ، واليابان ، عن الصين . وكانت هذه الدول تشترط عليها عادة أن تنفق الأموال التى نزلت عنها على تعليم الطلبة الصينيين فى جامعات الدول التى كانت هذه الأموال من حقها . وكان هذا منها عملا كريماً كان له من الأثر فى تحطيم الصين القديمة أقوى مما كان لأى عمل آخر بمفرده فى الصراع التاريخى المرير بين الشرق والغرب .

(*) ويقول الكپتن درنكلى فى ذلك . « مما يمشعر منه بدن كل شخص أبيض أن يعلم أن أربعين من النساء المبشرات وخمسة وعشرين من الأطفال دينهم الملاكون ، ولكن خمسمائة وسبعاً وثلاثين من نساء الطبقات العليا فى الصين قد انتحروا فى تونجشاو وحدها مفضلين هذا الانتحار على الحياة بعد ما لاقوا من عار ومذله ، مع أن الصينيين لم يبدوا أية مقاومة فى هذه المدينة ولم يقع فيها قتال ما » .

الفصل الثانى

حضارة تموت

طلبة الغرامة الحربية — تشربهم بالحضارة الغربية — أثرهم فى تفكك الوحدة الصينية — عمل المبشرين — صون يات — صن المسيحى — مغامراته فى شبابه — التقائه بلى هونج — چانج — تدبيره للثورة — نجاحهما — يوآن شى — كاى — موت صون يات — صن — الفوضى والنهب — الشيوعية — « الشمال يهدأ » — چيانج كاى — شك — اليابان فى منشوريا — شنغهاى

وغادر « طلبة الغرامة » وآلاف غيرهم من الطلبة بلاد الصين ليرتادوا حضارة الغزاة الفاتحين . فذهب كثيرون منهم إلى إنجلترا ، وذهب أكثر من هؤلاء إلى ألمانيا ، وأكثر من هؤلاء وأولئك إلى أمريكا ، وأكثر منهم جميعاً إلى اليابان . وتخرج فى جامعات أمريكا وحدها مئات منهم فى كل عام ، وكانوا يأتون إلى هذه الجامعات وهم صغار السن سريعو التأثر قبل أن تنضج عقولهم ، فيدركوا ما تنطوى عليه حضارتهم القومية من عمق ومالها من قيمة ، وارتووا وهم شاكرون معجبون من معين التربية الجديدة التى قدمت لهم ، ومن علوم الغرب وأساليبه وأفكاره ، وأدهشهم ماشاهدوه حولهم من وسائل الراحة والحياة النشيطة القوية ، ومن حرية الأفراد فى بلاد الغرب ، وما تستمتع به الشعوب من حقوق . ودرسوا الفلسفة الغربية وفقدوا إيمانهم بدين آبائهم ، وسرهم أن يكونوا مصلحين متطرفين يشجعهم فى ذلك من لقنوهم علومهم وحضارتهم ، كما تشجعهم بيئتهم الجديدة على نبذ جميع العناصر التى تتكون منها حضارة بلادهم . ورجع إلى الصين فى كل عام آلاف من هؤلاء الشبان الذين انتزعوا من بيئتهم فى حداثة سنهم وهم حانقون على تأخر بلادهم المادى وخطوها البطىء فى سبيل الحضارة الغربية وبذروا فى كل مدينة دخلوها بذور البحث والثورة على القديم .

وأعانتهم على غرضهم سلسلة من الحوادث والظروف ، منها أن التجار والمبشرين الذين غزوا الصين من الغرب قد ظلوا قرابة جيلين مراكز للعدوى الغربية أرادوا هم ذلك أو لم يريدوه ، فقد كان طراز معيشتهم وأساليب متعتهم وراحتهم مما بعث فى نفوس من حولهم من شباب الصين رغبة قوية فى أن ينالوا حظا من هذه الحضارة الراقية . وكان هؤلاء التجار والمبشرون رغم قلتهم قد قوضوا بنشاطهم العقيدة الدينية التى كانت دعامة القانون الأخلاقى القديم ؛ وأثاروا شبان البلاد على شيوخها بدعوتهم إلى نبذ عبادة الآباء ؛ ومع أنهم كانوا يدعون إلى دين عيسى المسالم الوديع فقد كانوا إذا تأزمت الأمور تحميهم مدافع ترهب الشرق بضخامتها وقوتها وتخضعه لسيطرة الأوربيين . لقد كانت المسيحية فى أول نشأتها ثورة المظلومين على الظالمين ، وها هى ذى قد عادت فى يد معتنقيها من شباب الصين عاملا من عوامل الثورة .

وكان زعيم الثورة ممن اعتنقوا المسيحية . ذلك أن أحد المستأجرين من الزراع القاطنين قرب كانتون قد ولد له فى عام ١٨٦٦ ولد مشاغب سماه العالم فيما بعد — فى سخرية غير مقصودة — صون يات — صن ؛ أى الشمس جنية السكينة[١٠] . واعتنق صون المسيحية وقوى إيمانه بها فاندفع يحطم أصنام الآلهة فى معبد قريته . وكان لهذا الغلام أخ له أكبر منه سنا هاجر من قبل إلى جزائر هاواى ، فجاء بأخيه الأصغر إلى هنولولو وأدخله مدرسة يديرها راهب من أتباع الكنيسة الإنجليزية ويسير التعليم فيها بالأساليب الغربية البحتة[١١] . ولما عاد صون إلى الصين التحق بالكلية الحربية البريطانية فكان أول من تخرج فيها من الصينيين .

وكانت هذه الدراسات من أكبر الأسباب التى أفقدت الرجل كل ما كان فى قلبه من العقائد الدينية ، كما كانت الإهانات وضروب الإذلال التى يلقاها هو وأبناء وطنه فى الجارك التى يسيطر عليها الأوربيون وفى الأحياء الأجنبية من

ثغور المعاهدات مما أوغر صدره وجعله يفكر فى الثورة . وكان عجز الحكومة الفاسدة الرجعية عن أن تقى الصين العظيمة مذلة الهزيمة على يد اليابان الصغيرة ، وتجزئة البلاد بين الدول الأوربية لأغراضها التجارية ، مما أشعره بالمذلة وملأ قلبه حقداً وضغينة على تلك الحكومة ، فاعتقد أن أول خطوة يجب عليه أن يخطوها فى سبيل تحرير الصين هى أن يقضى على أسرة المنشو .

وكانت أولى حركاته شاهداً حقا على ثقته بنفسه ، ومثاليته ، وبساطته . ذلك أنه ركب سفينة تجارية دفع أجرها من ماله الخاص وسار بها مدى ألف وستمائة ميل نحو الشمال ليعرض على لى هونج — چانج نائب الملكة الوالدة مشروعاته التى تهدف إلى إصلاح أحوال البلاد واستعادة عزها وكرامتها . فلما رفض هذا الحاكم مقابلته بدأ حياة كلها مغامرات وتجوال لجمع المال الذى يؤجج به نار الثورة الصينية ، ولقى معونة من كثير من النقابات التجارية والجمعيات السرية القوية التى كان قادتها يحسدون الطبقة الحاكمة الأرستقراطية ، ويتوقون إلى إقامة نظام للحكم يكون فيه للطبقات الحديثة من أرباب المصانع والمتاجر شأن يتناسب وثروتهم المتزايدة : ثم غادر الصين وأبحر إلى أمريكا وأوربا يجمع المال القليل من ملايين الغسالين وآلاف التجار الصينيين . فلما جاء إلى لندن اعتقلته المفوضية الصينية دون سند قانونى أوشكت أن ترسله سراً إلى الصين مكبلا بالأغلال بحجة أنه خائن لحكومته ، ولم ينجه إلا مبشر ممن علموه فى صباه ، فنبه الحكومة البريطانية وتدخلت هذه فى الأمر وأنقذته . وظل خمسة عشر عاماً أخرى يتنقل من مدينة إلى مدينة فى جميع أنحاء العالم ، وجمع فى تجواله مليونين ونصف مليون من الدولارات ليموّل بها الثورة ، ويلوح أنه لم ينفق شيئاً من هذا المال على نفسه . ثم جاءته على حين غفلة فى أثناء تجواله رسالة تنبئه أن قوات الثورة استولت على الجزء الجنوبى من بلاد الصين ، وأنها بسبيل الاستيلاء على شمالها ، وأنها اختارته رئيساً مؤقتاً للجمهورية الصينية . وبعد بضعة أسابيع من

ذلك الوقت رست السفينة التى أقلته فى هنج كنج التى لقى فى ثغرها المذلة منذ عشرين عاماً على يد الموظفين البريطانيين .

وكانت الإمبراطورة الوالدة قد قضت نحبها فى عام ١٩٠٨ بعد أن دبرت موت الإمبراطور السجين جوانج شو قبل موتها بيوم واحد ، وخلفها على العرش پويسى ابن أخى جوانج ، وهو الآن إمبراطور منشوكو(*) . وأدخلت الحكومة الصينية فى أواخر حكم الإمبراطورة الوالدة وأوائل حكم خليفتها الطفل كثيراً من ضروب الإصلاح التى تهدف إلى تجديد البلاد وصبغها بالصبغة الغربية الحديثة ؛ فمدت الطرق الحديدية مستعينة فى الغالب برءوس الأموال الأجنبية وبخبرة الأجانب وإشرافهم ، وألغى نظام الامتحان للتعيين فى المناصب الحكومية ، وأنشئ نظام جديد للتعليم ، ودعيت جمعية وطنية لتجتمع فى عام ١٩١٠ ، ووضع مشروع يستغرق تنفيذه تسع سنين يهدف إلى إقامة حكومة ملكية دستورية ، وينتهى بتعميم حق الانتخاب بعد أن يتدرج خطوة خطوة مع انتشار التعليم العام فى البلاد . وجاء فى المرسوم الذى أعلن به هذا المنهج ما يأتى : « كل تسرُّع فى إدخال هذه الإصلاحات سيؤدى فى النهاية إلى ضياع كل ما بذل فيها من جهود »(١٣) . ولكن الثورة لم تكن لتوقف تيارها هذه النوبة التى جهرت بها الأسرة المريضة وهى على فراش الموت ، وألفى الإمبراطور الشاب نفسه تحيط به الثورة من كل جوانبه ، وقد تخلى عنه الجيش فلم يجد من يدافع عنه ، فلم ير بداً من أن يعلن تخليه عن العرش ، وأصدر نائب الإمبراطور الأمير چون مرسوماً هو أعجب ما صدر من المراسيم فى تاريخ الصين كله :

إن الشعب فى جميع أنحاء الإمبراطورية يتجه الآن بعقله نحو الجمهورية ...

(*) لقد كتب هذا الفصل قبل الحرب الأوربية الأخيرة ، وكانت اليابان قد غزت الصين ، واجتاحت جيوشها منشوريا ، وأقامت فيها دولة تأتمر بأمرها هى دولة منشوكو ، وأجلست هذا الإمبراطور على عرشها . ولكن الحرب الأخيرة بدلت هذا كله (المترجم)

إن إرادة الله واضحة ورغبات الشعب غير خافية . فكيف أستطيع أن أعارض رغبات الملايين الكثيرة للاحتفاظ بمجد أسرة واحدة وكرامتها ؟ ومن أجل ذلك فإنى أنا والإمبراطور نرى أن تكون الحكومة فى الصين جمهورية دستورية إجابة لرغبات الشعب فى داخل الإمبراطورية كلها ، وعملا بآراء الحكماء الأقدمين الذين كانوا يرون أن العرش تراث عام[١٤] .

وكانت الثورة كريمة كل الكرم فى معاملتها ليو — پى ؛ فقد أمنته على حياته ومنحته قصراً مريحاً ومرتباً سنويا يقوم بشئونه ، وخليلة يسكن إليها . لقد جاء المنشو إلى الصين آساد وخرجوا منها حملانا .

وكان مولد الثورة هادئاً سلميا ، ولكن حياتها كانت حياة عاصفة مليئة بالأحداث . فقد كان ليوان شى — كاى وهو سياسى من الطراز القديم جيش قادر على مقاومة الثورة . وطلب أن يكون ثمن تأييده إياها أن يتولى رياسة الجمهورية ، وأجابه صون يات — صن إلى ما طلب واعتزل الحياة العامة فى كرم وعزة نفس ، وكان قد بدأ منذ قليل يستمتع بمنصبه الجديد . وأخذ يوان يعد العدة لأن يجعل نفسه إمبراطوراً وينشئ أسرة حاكمة جديدة مستعيناً فى عمله هذا بجماعات مالية قوية أجنبية ووطنية ؛ وحجته فى هذا أن الإمبراطورية هى السبيل الوحيدة لمنع تدهور الصين وتفككها . واتهمه صون يات — صن بالخيانة وأهاب بأتباعه أن يجددوا عهد الثورة ، ولكن يوان مرض ومات قبل أن يصل الأمر إلى امتشاق الحسام .

ولم تعرف الصين النظام والوحدة من ذلك الحين . فقد تبين أن صون يات — صن رجل أحلام يسبح فى بيداء الخيال ، وأنه خطيب مفوه ولكنه سياسى عاجز عن تولى زمام الحكم وقيادة الأمة إلى بر السلام ، فكان ينتقل من خطة إلى خطة ومن نظرية إلى أخرى ، أغضب من عاونوه من الطبقات الوسطى بما أظهره من ميل إلى الشيوعية ، وانتهى أمره بالانزواء فى كانتون ليعلم شبابها ويبث فيهم روحه ،

ويحكم أهلها فى بعض الأحيان(٥). وحرمت الصين من حكومة تعترف بها جميع أجزائها، ومن ملكية كانت رمز وحدتها، ونبذت عادة الطاعة والخضوع لتقاليدها وشرائعها؛ وهى من بداية أمرها ضعيفة النزعة الوطنية التى تربط النفس بالوطن كله لا بالإقليم الذى تعيش فيه، فشبت فيها نار حرب متقطعة بين الجنوب والشمال تارة، وبين طائفة وطائفة تارة أخرى، ثم بين السراة والجياع، وبين الشيوخ والشبان. وقام المغامرون يجيشون الجيوش، ويفرضون سلطانهم على الولايات النائية، يجبون منها الضرائب ويزرعون الأفيون(١٥)، ويخرجون بجنودهم من حين إلى حين ليضموا ضحايا جدداً إلى رعاياهم المساكين. واضطربت أحوال الصناعة والتجارة واضمحلت لكثرة ما كان يفرضها عليها قائد منتصر بعد قائد. وأخذ اللصوص وقطاع الطريق يفرضون الإتاوات، وينهبون ويقتلون، لأنهم لا يجدون قوة منظمة تقف فى وجههم وتضرب على أيديهم. ووجد الناس فى التلصص والجندية وقاية لهم من الهلاك جوعاً، وكثيراً ما كان هذا القائد أو ذاك المنسر من اللصوص يداهم أسرة مقتصدة فيسلبها ما ادخرته طول حياتها من المال أو ما جمعته من المتاع. وحسبنا تصويراً لهذه الحال أن عدد قطاع الطريق فى ولاية هونان وحدها قد بلغ فى عام ١٩٣١ — ٤٠٠,٠٠٠(١٦) أو يزيدون.

وبينا كانت هذه الفوضى ضاربة أطنابها فى البلاد أرسلت الروسيا فى عام ١٩٢٢ اثنين من أقدر ساستها هما كرخان وجف ليضما الصين إلى نطاق الثورة الشيوعية. ومهد كرخان لعمله هذا بنزول الروسيا عما لها من امتيازات فى الصين، وبتوقيع معاهدة تعترف فيها بشرعية حكومة الثورة وبمركزها الدولى. ولم يجد جف الداهية صعوبة ما فى أن يستميل صون يات — صن إلى الشيوعية لأن جميع السلطات الأخرى كانت قد نبذته، ولم يمض إلا وقت قصير حتى تكون جيش وطنى جديد ودرب بمعونة سبعين من الضابط السوفيت. وزحف هذا

(*) ومات پيكين عام ١٩٢٥ فى أحسن الفرص التى أتيحت لأعدائه المحافظين.

الجيش من كانتون إلى الشمال تحت إمرة چيانج كاى — شك أمين سر صون يات — صن السابق ، ويقوده عمليا المستشار الروسى بردين ، يخضع بلدة فى إثر بلدة حتى استقر أخيراً فى پيكين(*) . ولكن المنتصرين انقسموا على أنفسهم فى ساعة النصر فخرج چيان كاى — شك على الحركة الشيوعية وأقام دكتاتورية عسكرية إجابة لرغبات رجال الأعمال والمال(**) .

إن الأمم كالأفراد من العسير عليها ألا تفيد من مصائب جيرانها . ومصداق ذلك أن اليابان ، التى كان يبغى صون يات — صن أن تكون صديقة الصين وحليفتها على الأمم الغربية ، والتى شجعت الثورة الصينية بنجاحها السريع فى السير على النظم الأوربية فى الصناعة والسياسة والحرب ، نقول إن اليابان وجدت فى الفوضى التى تردت فيها معلمتها القديمة فرصة سانحة لحل المشكلة التى أثارها نجاحها هى وتقدمها السريع . ذلك أن اليابان لم يكن فى وسعها أن تحد من عدد سكانها دون أن تعرض سلامتها للخطر الشديد بعجزها عن صد من تحدثه نفسه بالإغارة عليها ؛ ولم يكن فى وسعها كذلك أن تمون سكانها المتزايدين إلا إذا زادت مواردها بتشجيع الصناعة والتجارة ؛ وليس فى وسعها أن تشجع الصناعة والتجارة من غير أن تستورد الحديد والفحم وغيرهما من المواد الأولية التى لا تجدها فى بلادها ، وليس فى وسعها كذلك أن تنمى تجارتها وأن تفيد منها أكبر فائدة دون أن يكون لها نصيب موفور فى السوق العظيمة الوحيدة التى لا تزال خارجة عن نطاق الاستعمار الأوربى الذى شمل الكرة الأرضية كلها . وكانت الصين

(*) وتغير اسم تلك المدينة من ذلك الوقت فسميت پكين أى الشمال المهذب بدل پيكنج (العاصمة الشمالية) ، واتخذت الحكومة الوطنية مقرها فى نانكنج « العاصمة الجنوبية » لتكون قريبة من مواردها المالية فى شنغهاى .

(**) أما الحوادث التى تلت هذا فلا تزال ماثلة فى الأذهان ، فقد اندلعت نار الحرب العالمية الثانية ، وهزمت اليابان ، وزحف الشيوعيون بجيوشهم على الجنوب تعاونهم روسيا السوفيتة وانتصروا على چيان كاى — شك ، وهزموا جيوش الحكومة الوطنية ، وأصبحت الصين كلها تقريبا دولة شيوعية . (المترجم)

مشهورة بكثرة ما فيها من الحديد والفحم ، ويرجى منها أن تكون فى المستقبل أعظم الأسواق العالمية . وهى إلى ذلك أقرب الأسواق إلى اليابان . وهل فى العالم أمة يبدو لها أن فى مقدورها أن تختار بين العودة إلى الزراعة ، الفاقة والمذلة ، وبين التقدم فى الصناعة والفتح والاستعمار ، ثم تستطيع أن تقاوم الميل الشديد إلى اختطاف جزء من الصين الضعيفة المقطعة الأوصال فى الوقت الذى كانت فيه النسور الأوربية يقطع بعضها أشلاء بعض فى ميدان فرنسا(*) ؟

من أجل هذا أعلنت اليابان الحرب على ألمانيا فى بداية الحرب العالمية الأولى ، وانقضت على إقليم چياو چو وهو الإقليم الذى كانت ألمانيا قد استأجرته من الصين قبل ذلك الوقت بستة عشر عاما ، ثم قدمت إلى حكومة يوان شى كاى « واحداً وعشرين مطلبا » لو أجابتها الصين لأصبحت مستعمرة سياسية واقتصادية لليابان ، ولولا احتجاج الولايات المتحدة ومقاطعة الصينيين بزعامة طلابها الغضاب للبضائع اليابانية لنفذت هذه المطالب قوة واقتداراً . ذلك أن الطلاب انطلقوا فى شوارع المدن الصينية يبكون أو يقتلون أنفسهم لأنهم يستحون أن يرى الناس وجوههم بعد هذا الإذلال الذى حاق ببلادهم(١٧) .

وكان اليابانيون يستمعون وهم ساخرون إلى غضب أوربا واحتجاجها وهى التى ظلت تنخر فى عظام الصين خمسين سنة أو تزيد . وارتدت اليابان دون أن تصل إلى أهدافها ولكنها ظلت تنتحين فرصة أخرى تحقق فيها أطماعها . ولاحت لها هذه الفرصة حين كانت أوربا وأمريكا تتردّيان فى عواقب خططهما الصناعية الاستعمارية التى كانت تعتمد على الأسواق الأجنبية لاستيعاب « الفائض » من محصولاتها التى لا يستطيع منتجوها أن يبتاعوها . وزحفت اليابان على منشوريا وأقامت پو يى إمبراطور الصين السابق رئيساً لجمهورية منشوكو التى أنشأتها فى ربوعها ثم نصبته بعدئذ إمبراطوراً عليها . ثم عقدت مع الدولة الجديدة حلفاً

(*) يشير المؤلف بهذا القول إلى الحرب العالمية الأولى (المترجم)

سياسيا ، ثم تغلغلت فيها اقتصاديا ، وسيطرت عليها عسكريا ، وجعلت لنفسها بهذه الوسائل فيها مركزاً ممتازاً يمكنها من استغلال موارد منشوريا الطبيعية ، واستخدام أهلها ، وفتح أسواقها للتجارة اليابانية . وانضمت الدول الأوربية التى كانت قد اتفقت فيما بينهما على وقف غارات التلصص زمنا مابعد أن جمعت كل ماتستطيع أن تجمعه من الأسلاب ، انضمت هذه الدول إلى أمريكا ، ووجهت احتجاجا ضعيفا إلى اليابان على هذا النهب الصريح ؛ ولكنها كانت فى هذه المرة كما هى عادتها فى جميع الأحوال على استعداد لأن تعد النصر مبرراً للغاية .

كانت آخر مذلة لحقت بأوربا وأمريكا هى ما أقدمت عليه اليابان فى شنغهاى . ذلك أن اليابان ثار ثائرها لما أصاب تجارتها من جراء المقاطعة الصينية ، فأنزلت جيوشها المنتصرة فى أغنى ثغور الصين ، واحتلت حى چاپاى ودمرته ، وأنذرت الحكومة الصينية بأن توقف أعمال جمعيات المقاطعة . ودافع الصينيون عن أنفسهم دفاع الأبطال ، وقاوم جيش الطريق التاسع عشر القادم من كانتون . قوى اليابان التى كانت تفوقه عدة ونظاما ، ووقف وحده تقريبا فى وجهها شهرين كاملين . ثم عرضت حكومة نانكنج على اليابان أن تتراضى وإياها على حل وسط ، وانسحبت اليابان من شنغهاى ، وعادت الصين تضمد جراحها ، فاعتزمت أن تضع لنفسها أساس حضارة جديدة أقوى من حضارتها السابقة وأمتن منها دعامة تستطيع أن تدفع بها العالم النهم وترد مطامعه .

الفصل الثالث

بداية عهد جديد

التغيير فى القرية — وفى المدينة — المصانع — التجارة — اتحادات العمال — الأجور — الحكومة الجديدة — القومية واتساع الأساليب الغربية — إنزال كنفوشيوس عن عرشه — مناهضة الدين — المبادئ الخلقية الجديدة — التحول فى نظام الزواج — تحديد النسل — التعليم المشترك بين الذكور والإناث — « التيار الجديد » فى الأدب والفلسفة — لغة الأدب الجديدة — هوشى — عناصر التدمير — عناصر التحديد

كان كل شىء فى الماضى يتغير ما عدا الشرق ، أما الآن فليس شىء فى الشرق لا يتغير ، وأصحت أشد الأمم استمساكا بالقديم أكثرها تطرفا بعد الروسيا ، وأخذت تدمر عامدة عادات ونظما كانت تعدها من قبل حرما آمنا غير قابل للتعديل . فليس الأمر الآن مقصوراً على القضاء على أسرة حاكمة كما حدث فى عام ١٦٤٤ بل هو اقتلاع جذور حضارة قديمة .

وقد جرت العادة أن يكون آخر التغيير وأقله فى القرية ، لأن اعتدال القرية وبطء سيرها لا يشجعان على التجديد ، والجيل الجديد نفسه لا بد له أن يزرع أولائم يحصد ما زرعه فيما بعد . وأما الآن فإن سبعة آلاف ميل من الخطوط الحديدية تخترق الريف الصينى ، ولا تزال تربط القرى الشرقية بالمدن الساحلية وتحمل كل جديد من سلع الغرب إلى الملايين من بيوت الزراع ، رغم ما أصابها من الدمار فى خلال الفوضى وسوء الإدارة اللذين داما عشرات السنين ، ورغم ما تحملته من الأعباء الباهظة بسبب حاجات الحرب ومطالبها الملحة . ففى هذه القرى يرى السائح كثيراً من الواردات الأجنبية مثل الكيروسين ، ومصابيح الكيروسين ، وعيدان الثقاب ، ولفافات التبغ ؛ بل يرى فيها القمح الأمريكى نفسه . ولعل القارئ يظن أن وجود هذه البضائع والسلع فى داخل البلاد أمر عادى غير جدير بالذكر ؛ والحق أن

نقلها إليها من أصعب الأمور لأن البلاد لا تزال جد فقيرة فى وسائل النقل ، حتى أن نقل البضائع بين الأقاليم الداخلية والمقاطعات الساحلية يتطلب من النفقات أكثر مما يتطلبه نقلها إلى ثغور الصين من أستراليا أو الولايات المتحدة . ولقد تبين لأهل البلاد أن نمو الحضارة من الناحية الاقتصادية موقوف على سهولة سبل النقل ووسائل الاتصال . من أجل ذلك أنشئت طرق برية يبلغ طولها نحو عشرين ألف ميل تسير عليها ستة آلاف مركبة حافلة سيراً غير منتظم مملوءة على الدوام بالركاب . فإذا ما ارتبطت هذه القرى التى يخطئها الحصر بالسيارات السريعة فإن ذلك يحدث فى الصين أعظم تغيير شهدته فى تاريخها الطويل وهو القضاء حتى على القحط الذى طالما هددها وأفنى الكثيرين من أهلها .

هذا فى القرى أما فى الحواضر فإن انتصار الأساليب الغربية يسير بخطى أسرع وأيسر ، فالحرف اليدوية أخذت فى الزوال بتأثير منافسة السلع الرخيصة السهلة النقل المستوردة من خارج البلاد . وقد تعطل لهذا السبب آلاف من الصناع ، ولكن المصانع الآلية التى أنشئت على طول السواحل بمعونة رءوس الأموال الأجنبية والوطنية تبتلعهم ابتلاعا سريعا . وقد سكت صوت الأنوال اليدوية فى المدن وإن كانت لا تزال تدور فى الريف ، وغمر القطن والمنسوجات القطنية أسواق البلاد ، وشيدت مصانع النسيج لتجعل من فقراء الصين عبيداً مسخرين للآلات ، وأقيمت فى هانجتشاو أفران لصهر المعادن لا تقل ضخامة وروعة عن مثيلاتها فى البلاد الغربية ، ووضعت مشروعات هائلة لإنشاء مخابز ومصانع لحفظ الطعام ولصنع الأسمنت والورق والصابون والشمع وتكرير السكر ، وهى تعمل رويداً رويداً على تحويل العامل الصينى اليدوى إلى صانع ومشرف على الآلات . لكن الصناعات الجديدة يعوق نموها السريع تردد أصحاب رءوس الأموال فى أن يستثمروها فى بلاد لا تنقطع فيها الثورات ، ويلاقون فيها صعابا جمة من جراء نقص وسائل النقل وكثرة نفقاتها وقلة المواد فى داخل

البلاد ، ومن جراء تمسك الصينيين بتلك العادة الجميلة عادة الولاء للأسرة قبل الولاء لكل ما عداها من الجماعات ، والتى تجعل كل مكتب من مكاتب الموظفين وكل مصنع معششاً للأقارب والعاجزين عن أداء عمل من الأعمال[١٩] . والتجارة يعوقها فضلا عن هذا ما يفرض عليها من الضرائب فى داخل البلاد ومن الرسوم الجركية والرشا وضروب الاغتصاب ، وإن كانت مع ذلك تنمو أسرع من نمو الصناعة وتضطلع بدور خطير فى تحوّل الصين الاقتصادى[*] .

وقد قضت الصناعات الجديدة على نقابات أرباب الحرف القديمة وأحدثت كثيراً من الاضطراب والفوضى بين العمال وأرباب الأعمال . ذلك أن هذه النقابات كانت تعيش بفضل ما تبذله من الجهود لتحديد أجور العمال وأثمان البضائع بالتوفيق بين الملاك والمنتجين الذين لم يكن لمنتجاتهم ما ينافسها فى التجارة المحلية . فلما أن اتسع نطاق التجارة بزيادة وسائل النقل ، وجاءت البضائع من البلاد البعيدة تنافس فى جميع المدن بضائع النقابات المصنوعة باليد ، تبين لها أن ليس فى استطاعتها أن تشرف على الأسعار أو تحدد الأجور من غير أن تخضع فى ذلك إلى أوامر المتنافسين الأجانب وإلى رءوس الأموال الأجنبية . ومن أجل هذا تفككت النقابات وتقسمت إلى غرف تجارية من جهة وإلى اتحادات للعمال من جهة أخرى . فالغرف تعنى بالنظام والولاء لأصحاب الأعمال وبالحرية الاقتصادية ، والعمال يعنون بأجورهم المنخفضة التى تكاد تميتهم جوعا . وقد كثر الإضراب والمقاطعة ولكن هذين قد أفلحا فى إرغام أرباب الأعمال من الأجانب على التسليم للحكومة الصينية ببعض الامتيازات أكثر مما أفلحا فى رفع

(*) كانت بريطانيا العظمى فى وقت من الأوقات هى المسيطرة على تجارة الواردات ، أما الآن فإن لها فيها نحو ١٤ ٪ وللولايات المتحدة ١٧ ٪ وليابان ٢٧ ٪ ، ولا يزال مركز اليابان فى هذه التجارة يقوى عاماً بعد عام . وقد تضاعفت تجارة الصين فيما بين ١٩١٠ ، ١٩٣٠ قبلمت ٦٠٠ ٪ وتقدر قيمتها بما يقرب من نصف بليون من الدولارات . غير أن الحرب العالمية الأخيرة وهزيمة اليابان قد بدلتا من مركزها فى هذه التجارة .

أجور العمال . وقد قدرت مصلحة الشئون الاجتماعية التابعة لبلدية شنغهاى الصينية متوسط الأجر الأسبوعى لعمال مصانع النسيج بين ١ر٧٣ ، ٢ر٧٦ دولار للرجل ، وما بين ١ر١٠ ، ٢ر٧٨ دولار للمرأة . وكان متوسط الأجور الأسبوعية للرجال فى المطاحن والمصانع ١ر٩٦ دولار وفى مصانع الأسمنت ١ر٧٢ دولار ، وفى مصانع الزجاج ١ر٨٤ ، وفى مصانع الكبريت ٢ر١١ ؛ وكان متوسط أجر العمال المهرة فى المصانع الكهربائية ٣ر١٠ وفى مصانع الآلات ٣ر٢٤ وبين عمال المطابع ٤ر٥٥[٢٣] . وما من شك فى أن الزيادة الكبيرة فى أجور عمال المطابع إنما ترجع إلى حسن تنظيمهم وإلى الصعوبة التى يعانيها أصحاب المطابع فى استبدال غيرهم بهم إذا توقفوا عن العمل فجأة . وتألفت أولى اتحادات العمال فى عام ١٩١٩ وزاد عددها وقوتها حتى طلبت فى أيام برودين أن تتولى هى حكم الصين ؛ ولكن چيانج كاى — شك كبح جماحها من غير رحمة بعد نزاعه مع الروسيا ، وقد سنت لمقاومتها فى هذه الأيام قوانين غاية فى الصرامة ، ولكن عددها مع ذلك أخذ فى الازدياد بسرعة لأنها الملجأ الوحيد للعمال من عنت النظام الصناعى الذى لم يعمل حتى الآن أكثر من أن يبدأ بوضع التشريع الخاص بالعمال ، ولم يبدأ قط فى تنفيذه[٢٤] . وإن ما يعانيه صعاليك المدن فى هذه الأيام من فقر مدقع وكدح يدوم اثنتى عشرة ساعة فى اليوم بأجور لا تكاد تمسك الروح بالجسم ، يهددهم الموت جوعاً إذا لم يجدوا عملا فى يوم من الأيام ، إن ما يعانيه هؤلاء الصعاليك فى هذه الأيام لأسوأ مما كان يعانيه فقراء القرى فى الأيام الخالية حيث لم يكن يسمح للفقراء أن يروا الأغنياء ، وحيث كانوا يرضون بما قسم لهم منذ الأزل .

ولعله كان من المستطاع تجنب هذه الشرور لو أن تبدل الأحوال فى شرق الصين لم يتم بغير ما تم به من السرعة ولم يبلغ ما بلغه من الكمال . إذن لكان فى مقدور كبار الموظفين الصينيين ، وإن فقدوا ما كان لهم من حيوية وتلوثت أيديهم بالرشوة ، أن يكبحوا جماح القوى الصناعية الجديدة حتى تتأهب الصين

لقبولها من غير أن تقع فى براثن الفوضى والعبودية ؛ وإذن لنشأت من نمو الصناعة عاماً بعد عام طبقة جديدة من السكان لعلها كانت تستطيع أن تخطو بسلام إلى ميدان السلطة السياسية ، كما خطا الصناع إليها فى إنجلترا وحلوا محل كبار ملاّك الأراضى الزراعية .

ولكن الحكومة الجديدة ألفت نفسها بلا جيش ، ولا زعماء مجرّبين ، ولا مال ؛ ووجد الكومنتانج ، أى حزب الشعب الذى أنشئ لتحرير الأمة ، أن لابد له أن يقف موقف العاجز وهو يرى الأمة تخضع لرءوس الأموال الأجنبية والوطنية . وكان هذا الحزب قد ولد فى مهاد الدمقراطية ونشأ فى أحضان الشيوعية ، ثم أضحى جل اعتماده على مصارف شنغهاى المالية ، فترك الدمقراطية وانحاز إلى الدكتاتورية وحاول أن يقضى على اتحادات الصناع (*) . ذلك أن الحزب يعتمد على الجيش ، ولا بد للجيش من مال ، والمال لا يأتى إلا من القروض ؛ وإلى أن يكون للجيش من القوة ما يمكنه من إخضاع الصين فإن الحكومة ستظل عاجزة عن فرض الضرائب على الصين ، وإلى أن تستطيع الحكومة فرض الضرائب على الصين ستظل تتلقى النصح والإرشاد من حيث تتلقى المال . على إنها مع هذا كله قد أنجزت الشىء الكثير ؛ فقد أعادت إلى الصين إشرافها التام على التعريفة الجمركية وعلى صناعاتها — داخل نطاق قوة المال العالمية — وأنشأت ودرّبت وجهزت جيشاً قد يستخدم فى يوم من الأيام لقتال غير الصينيين ؛ ووسعت رقعة الأقاليم التى تعترف بسلطة الحكومة ، وقللت فى هذه الرقعة من قوة قطاع الطرق الذين كانوا يجثمون على أنفاس الأمة ويكادون يقضون على حياتها الاقتصادية . وهى تسير فى هذا سيراً بطيئاً لأن إشعال نار الثورة مستطاع فى يوم وليلة ولكن إقامة حكومة ثابتة يحتاج إلى جيل

(*) وقد أعدم فى عام ١٩٢٧ وحدها آلاف مؤلفة من العمال لانضمامهم إلى هذه الاتحادات .

وليس تفكك الصين وانفصام عرى وحدتها إلا مظهراً مما فى النفس الصينية من انقسام ونتيجة لازمة له . إن أقوى ما فى الصين من مشاعر فى هذه الأيام هو شعور الكراهية للأجانب ، وأقوى التيارات التى تجتاح الصين هو تيار محاكاة الأجانب . والصين تعترف أن الغرب لا يستحق أن تتملقه وتحاكيه ؛ ولكن الصين يضطرها روح الأيام ودوافعها القوية إلى تملق الغرب ومحاكاته لأن الأمم فى هذا العصر لا بد لها أن تختار بين التصنيع والاسترقاق ولا ثالث لهما . ومن أجل هذا نرى الصينيين فى المدن الشرقية يهجرون الحقول إلى المصانع ، والثياب الفضفاضة إلى السراويل الضيقة ، ونغمات الماضى البسيطة الشجية إلى موسيقى الغرب المعقدة ، ويتخلون عن ذوقهم الجميل فى الثياب والأثاث والفن ، ويزينون جدرانهم بالصور الأوربية ، ويشيدون دور الحكومة ومكاتب الأعمال على أقبح الطرز الأمريكية . وقد تخلت نساء الصين عن عادة ضغط أقدامهن من الأمام إلى الخلف وأخذن يضغطنها من اليمين إلى اليسار على آخر طراز غربى(*) ، وأخذ فلاسفتها يتخلون عن مبادئ كنفوشيوس المعتدلة القنوعة الظريفة ويهرعون إلى مبادئ موسكو ولندن وبرلين وباريس ونيويورك الشرسة الخصيمة ، ويتلقونها بنفس الحماسة التى كان الأوربيون يتلقون بها مبادئ النهضة فى أواخر العصر الوسيط .

لقد ثل عرش كنفوشيوس وكان فى الطريقة التى ثل بها شىء من سمات عصر النهضة وعصر الاستنارة ؛ ولقد كان نبذا لأرسطو الصين والآلهة التى عبدها الشعب من أقدم الأزمنة . وأتى على الدولة حين من الدهر اضطهدت فيه البوذية وطوائف الرهبان فى الأديرة ، ذلك أن ثوار الصين كانوا كثوار فرنسا ملاحدة لا يخفون عن الناس إلحادهم ، ويجهرون بعدائهم للدين ، ولا يعبدون غير

(*) تعمد بعض الصينيات فى هذه الأيام إلى وضع وسادات فى أحذيتهن ليخفين عن الناس أن أقدامهن قد ضغطت فى صغرهن(٢٦) .

العقل . ولعل الكنفوشية كانت تترك الناس أحراراً فى عقائدهم الدينية لأنها تفترض أن الآلهة ستبقى ما بقى الفقر ؛ أما الثورة فكانت تظن أن فى وسعها أن تقضى على الفقر ولذلك لم تر حاجة إلى الآلهة ؛ وكانت الكنفوشية ترى أن الزراعة والأسرة هما نظام الحياة العملية والاجتماعية الطبيعية ولذلك شادتْ صرحاً للأخلاق يهدف إلى حفظ النظام وإشاعة القناعة فى نطاق دائرة البيت والحقل ؛ أما الثورة فوجْهتها الصناعة وهى فى حاجة إلى أخلاق جديدة تتفق مع الحياة الفردية فى الحواضر . وقد بقيت الكنفوشية لأن الوصول إلى المناصب السياسية والمهن العلمية كان يتطلب معرفة مبادئها والأخذ بها ؛ أما الآن فنظام الامتحانات قد انقضى عهده وحلت العلوم الطبيعية فى المدارس محل الفلسفة الأخلاقية والسياسية ؛ وأصبح الرجل لا يصاغ للحكم بل يصاغ للصناعة ؛ وكانت الكنفوشية محافظة تكبح بحذر الشبوخ مُثُل الشباب العليا ؛ أما الثورة فروحها من أنفاس الشباب ولا تقبل أن يفرض عليها شىء من هذه القيود ، وهى تسخر من الشيوخ إذا رفعوا عقيرتهم محذرين : « إن الذين يظنون أن الجسور القديمة عديمة النفع ويحطمونها تحطيما سيصيبهم الدمار ويغرقهم تيار المياه الجارف »[٢٧](*) .

وقضت الثورة بطبيعة الحال على دين البلاد الرسمى ولم تعد تقرّب القرابين الآن من مذبح السماء إلى التِّيَان الصامت المجرد . وتجيز الحكومة عبادة الأسلاف ولكن هذه العبادة آخذة هى الأخرى فى الانقراض ، وينزع الرجال إلى تركها شيئاً فشيئاً للنساء وقد كانوا يظنونهن من قبل غير خليقات بهذه الطقوس المقدسة . ولقد تلقى نصف زعماء الثورة تعليمهم فى المدارس المسيحية ، ولكن الثورة رغم انتماء چيانج كاى شك إلى الطائفة المسيحية النظامية (Methodism) لا تميل إلى دين يؤمن بخوارق الطبيعة وتصبغ كتبها المدرسية بالصبغة الإلحادية[٢٩] . أما

(*) انظر ص ٦٣ . وتحاول الآن حركة « الحياة الجديدة » التى يتزعمها چيانج كاى — شك أن تعيد الكنفوشية وقد نجحت فى ذلك بعض النجاح .

الدين الجديد الذى يحاول أن يسد الفراغ العاطفى الناشئ من فراق الآلهة فهو دين الوطنية ، كما أن الدين الجديد فى الروسيا هو الشيوعية . ولكن هذه العقيدة فى الوقت الحاضر لا ترضى كافة الناس ، ولهذا ترى الكثيرين من صعاليك المدن يعمدون إلى العرافين والمتنبئين والوسطاء ليجدوا عندهم ملجأ من كدح الحياة اليومية الرتيب الذى لا لذة فيه ولا طرافة . ولا يزال القرويون يجدون بعض ما يسليهم عن فقرهم ويفرج عنهم كربهم فى سكون المزارات القديمة . والقانون الأخلاقى القديم الذى كان الناس منذ جيل واحد يظنونه قانوناً سرمدياً لا يتبدل آخذ فى التفكك والانحلال بسرعة تتضاعف ثم تتضاعف على مدى الأيام بعد أن فقد حماية الحكومة والدين والحياة الاقتصادية . وأهم ما طرأ على الصين من تبدل فى هذه الأيام ، إذا استثنينا ما أحدثه فيها الغزو الصناعى ، هو تحطيم نظام الأسرة القديمة لتحل محله نزعة فردية تترك كل إنسان حراً يواجه العالم بمفرده ، وقد استبدل الولاء للدولة من الوجهة النظرية بالولاء للأسرة . وإذا كان هذا الولاء الجديد لم ينتقل الآن من طور الأقوال والنظريات إلى طور الأعمال فإن المجتمع الجديد يعوزه الأساس الخلقى الذى يستند إليه . إن الزراعة يلائمها نظام الأسرة لأن الأرض ، قبل انتشار الآلات ، كانت تستغل أحسن استغلال على أيدى جماعة من الناس تربطهم رابطة الدين والسلطة الأبوية . أما الصناعة فتمزق الأسرة لأنها تعطى العمل والجزاء عليه للأفراد لا للجماعات ، ولا تعطيهم هذا الجزاء دائماً فى مكان معين ، ولا تعترف بأن للضعفاء حقاً فى مال الأقوياء ، ولا يجد التعاون والتراحم الطبيعيين القائمين بين الأسرة سنداً من التنافس المرير الذى هو من طبيعة الصناعة والتجارة ؛ وترى الجديد الذى ينفر على الدوام من سلطان الشيوخ يهرع عن عمد إلى المدينة وفردية المصنع ، ولعل سلطان الأب القوى فى الزمن الماضى قد عجل بالانقلاب لأن الرجعية هى التى يرجع إليها على الدوام إسراف المتطرفين . وهكذا انتزعت الصين نفسها من ماضيها واستأصلت

جدوره ، وما من أحد يدرى هل تستطيع أن تمد لها جذوراً جديدة فى وقت يمكنها من أن تنجى بها حياتها الثقافية .

وكذلك أخذت أساليب الزواج القديم تزول بزوال سلطان الاسرة . نعم إن معظم الزيجات لاتزال ينظمها الآباء ، ولكن الزواج بالاختيار الحر بين الفتيان والفتيات آخذ فى الانتشار فى الحواضر ؛ فالشاب لا يكتفى الآن بأن يرى نفسه حرًّا فى أن يتزوج من يشاء ، بل هو يجرى تجارب فى الزواج قد يرتاع لها أبناء الغرب أنفسهم ، وهذا القول نفسه ينطبق على الفتيات كما ينطبق على الفتيان . لقد كان نتشه يرى أن آسية على حق فيما تعامل به النساء ، ويرى أن إخضاعهن لرجال هو العاصم الوحيد من سيطرتهن عليهم سيطرة لاتقف عند حد ، ولكن آسية قد اختارت أساليب أوربا لا أساليب نتشه فى معاملة النساء . وتعدد الزوجات آخذ فى النقصان لأن الزوجة الجديدة تعارض فيه وتعارض فى التسرى . والطلاق قليل غير عادى ، ولكن السبيل إليه أوسع مما كانت فى الأيام الماضية(*) . والتعليم المشترك هو القاعدة المتبعة فى الجامعات ، واختلاط الجنسين اختلاطا حرًّا أمر عادى فى المدن ، وقد سنت النساء لهن قوانينهن الخاصة بهن وأنشأن مدارسهن الطبية ، بل سرن إلى أبعد من هذا فأنشأن مصرفا ماليًا خاصا بهن(٣١) . واللائى انضممن إلى الحزب من النساء منحن حق الانتخاب ، وقد وجدت لهن وظائف فى أرقى لجان الحزب والحكومة على السواء(٣٢) . ولقد نبذن عادة قتل الأطفال

(*) تجيز الثورة الطلاق إذا طلبه الطرفان ، ولكن إذا كان الزوج أقل من ثلاثين سنة أو الزوجة أقل من خمس وعشرين فإن الطلاق يتطلب رضاء الأبوين . ولا تزال الأسباب القديمة التى كانت تجيز للزوج أن يطلق زوجته معمولا بها — وهذه الأسباب هى العقم ، والخيانة الزوجية ، وإهمال الواجب ، والثرثرة ، والسرقه ، والغيرة ، والأمراض الخطيرة ؛ ولكن هذه الأسباب لا يعمل بها إذا كانت الزوجة قد حزنت ثلاث سنين على والدى زوجها ، أو لم تكن لها أسرة تعود إليها ، وكانت وفية لزوجها فى أثناء ارتفاعه من الفقر إلى الغنى(٣٠) .

وأخذن يزاولن عادة تحديد النسل(*)، ولم يزد عدد السكان زيادة ملحوظة منذ قيام الثورة ولعل تيار السكان الصينيين الجارف قد أخذ الآن يتراجع(٣٣) .

ومع هذا فإن خمسين ألف صيني جديد يولدون فى كل يوم(٣٤) . وسيكونون فى مستقبل أيامهم جُدداً من كل الوجوه ، جدداً فى تفصيل ملابسهم وترجيل شعرهم ، جدداً فى تعليمهم وعاداتهم وأخلاقهم ودينهم وفلسفتهم ، لقد اختفى ذيل ملابسهم الطويل واختفى معه ما كان فى الأيام الخالية من ظرف ورقة ، وخشنت أحقاد الثورة روح الأهلين ، وأضحى من أصعب الأمور على المتطرفين أن يجاملوا المحافظين(٣٥) . وها هو ذا تيار الصناعة السريع يبدل ما كان يتصف به الشعب الصينى القديم من تواكل وعدم مبالاة إلى صفات أخرى أكثر دلالة على طبيعتهم . إن هذه الوجوه البليدة لتخفى تحتها نفوسا نشيطة سريعة الاهتياج ، وإن النزعة السلمية التى أشربتها نفوس الصينيين بعد حروب دامت عدة قرون لآخذة فى الزوال من طول تفكيرهم فى هزائمهم القومية وتقطيع أوصال بلادهم ؛ والمدارس تعد الآن كل طالب لأن يكون جندياً ، وعاد القوم مرة أخرى يرون القائد بطلا .

وتبدل نظام التعليم من أوله إلى آخره فألقت المدارس بكنفوشيوس من النافذة وأحلت العلوم الطبيعية والرياضية محله ، وإن لم يكن من الضرورى أن تتخلى عنه لتحل العلوم محله لأن تعاليم كنفشيوس لا تتعارض مطلقاً مع روح العلم . ولكن التاريخ كله لحمته وسداه يتكون فى جميع مراحله من غلبة الإحساسات النفسية على العقائد المنطقية . فدراسة الرياضيات والميكانيكا واسعة الانتشار لأنهما يعينان على صناعة الآلات ، والآلات تعين على جمع الثروة وعلى صناعة المدافع ، والمدافع قد تحفظ الحرية . ودراسة الطب فى الصين آخذة فى

(*) إن الإعلانات الصريحة عن وسائل موانع الحمل فى مازن الأدوية الصينية لمما يوحى إلى الشعب بوسيلة يلجأ إليها لينجو بها من « الخطر الأصفر » .

الانتشار ، والفضل فى انتشارها راجع معظمه إلى هبات المحسن ركفلر(*) . وقد تضاعف عدد المدارس الجديدة والمدارس العليا والكليات بسرعة فائقة على الرغم من فقر البلاد ، والصين الحديثة تأمل ألا يمضى إلا القليل من الوقت حتى يستطيع كل طفل أن يتعلم من غير أجر وأن يسودها النظام لدمقراطى بفضل انتشار التعليم .

وقد حدث فى الأدب الصينى والفلسفة الصينية انقلاب شبيه بما حدث فى عهد النهضة . ذلك أن دخول الكتب الغربية كان له من الأثر المنتج ما كان للمخطوطات اليونانية من أثر فى عقول الإيطاليين ؛ وكما أن إيطاليا فى إبان نهضتها قد هجرت اللغة اللاتينية لتكتب بالإيطالية فكذلك فعلت الصين بزعامة هوشى إذ حولت اللهجة الأرستقراطية القديمة إلى لغة أدبية هى المعروفة بالپاى هوا ، وأقدم هوشى على عمل خطير جازف فيه بمصيره الأدبى فكتب بهذه « اللغة البسيطة » تاريخ الفلسفة الصينية فى عام ١٩١٩ ؛ وكانت شجاعته سبباً فى فوزه العظيم ، فاتخذت خمسمائة صحيفة دورية الپاى هوا لغة لها ، ولم يمض إلا وقت قليل حتى كانت لغة الكتابة الرسمية فى المدارس . وقامت فى الوقت نفسه « حركة الحروف الألف » لإنقاص رموز الكتابة الصينية من ٤٠٠٠ رمز وهو العدد الذى كان يستخدمه العلماء فى كتاباتهم إلى ١٣٠٠ تكفى للاستعمال العادى . وبهذه الطريقة أخذت لهجة المندرين تذيع بسرعة فى الأقاليم الصينية ، وقد لا ينتهى هذا القرن حتى تكون للصين كلها لغة واحدة وحتى تقترب من الوحدة الثقافية .

والأدب الصينى آخذ فى الانتشار مدفوعا بهذه اللغة الشعبية وبحماسة الأهلين ، وقد أضحى عدد الروايات والقصائد والتمثيليات لا يقل عن عدد الصينيين أنفسهم ، وانتشرت الصحف والمجلات فى كل مكان ، وأخذ الصينيون يترجمون آداب الغرب

(*) فى عام ١٩٣٢ فتحت كلية طب الاتحاد للطلاب والطالبات بفضل الهبة التى قدمها چون . و . ركفلر الصغير والبالغ مقدارها خمسة ملايين من الدولارات ، وتنفق اللجنة الطبية الصينية التى تمدها بالمال مؤسسة ركفلر على تسعة عشر مستشفى وثلاث مدارس للطب وتهب فى كل عام خمسا وستين جائزة تعليمية(٣٦) .

بالجملة ، كما أخذت أشرطة الخيالة الأمريكية ، يشرحها مترجم صينى يقف إلى جانب الشاشة البيضاء ، تبعث البهجة فى نفوس الصينيين العلماء منهم والسذج . وكذلك عادت الفلسفة إلى عظماء الفلاسفة الأقدمين الملحدين ، وأخذت تعيد دراستهم وتفسيرهم على نمط جديد بعزيمة واندفاع لا يقلان عن عزيمة أوربا ونشاطها فى القرن السادس عشر ، وكما أن إيطاليا بعد أن تحررت من القيود الكنسية قد راعتها العقلية اليونانية اللادينية وأثارت إعجابها ، كذلك أخذت الصين الجديدة تستمع بشغف ليس كمثله شغف إلى أقوال مفكرى الغرب أمثال جون ديوى وبرتراند رسل وأمثالهم من العلماء المستقلين فى تفكيرهم استقلالا تاما عن جميع الأديان ، والذين يعظمون التجارب ويعتقدون أنها وحدها هى المنطق الواجب الاتباع ، والذين تتفق فلسفتهم لهذا السبب مع مزاج أمة تحاول أن تجمع الإصلاح الدينى ، وإحياء العلوم والاستنارة والنهضة والثورة فى جيل واحد(*) وإذا ما امتدح أحدنا الآن ما لآسية من « قيم روحية » سخر منه هوشى وقال إنه يجد فى إصلاح نظم الصناعة والحكم إصلاحا يعين على استئصال العوز من البلاد قيما أخلاقية أعظم من كل ما فى « حكمة الشرق » ، وهو يلقب كنفوشيوس « بالشيخ الطاعن فى السن » ويقول إن التفكير الصينى ليظهر على حقيقته إذا ما وضعت مدارس الملحدين التى كانت قائمة فى القرن الخامس والرابع والثالث قبل الميلاد فى مكانها الصحيح من تاريخ الصين(٣٨) .

بيد أنه وهو فى وسط هذا « التيار الجديد » الجارف وهذه الحركة الفكرية الجديدة التى كان من أنشط زعمائها قد أوتى من الحكمة ما جعله يدرك ما للشيوخ أنفسهم من قيمة ، وقد صاغ مشكلة بلاده أكمل صياغة فى الفقرة الآتية :

(*) لقد ضعف فى الأيام الأخيرة هذا الميل الشديد إلى تقليد المثل الغربية فى الأمور العقلية بتأثير حركة الحياة الجديدة التى يتزعمها جيانج كاى — شك . وأخذت الصين واليابان تخرجان لها أشرطة خيالية خاصة بهما ؛ وعاد الاستمساك بالقديم يحل تدريجاً محل التطرف ، كما أخذت الصين تميل إلى الانضمام إلى اليابان فى الثورة على أفكار أوربا وأمريكا وأساليبهما .

« إن الجنس البشرى بأجمعه لتصيبه أكبر خسارة إذا ما استبدلت الحضارة الجديدة بالحضارة القديمة استبدالا سريعاً مفاجئاً يمحوها من الوجود بدل أن تمتصها البلاد امتصاصاً بطيئاً وتمثلها كما يمثل الغذاء الصالح . وعلى هذا فإن المشكلة التى تواجهنا يمكن أن تصاغ على النحو الآتى . كيف نستطيع أن نهضم الحضارة الجديدة ونمثلها بحيث نجعلها متجانسة مؤتلفة مع الحضارة التى أنشأناها نحن فى أيامنا الخالية ؟ »[٣٠] .

ويخيل إلى كل من يشهد ظواهر الأمور الخارجية السائدة فى الصين الآن أنها لن تستطيع حل هذه المشكلة . ذلك أن الإنسان إذا ما فكر فيما يخيم على الحقول الصينية من وحشة ، وما حاق بها من خراب ، ومايتناوبها من جدب تارة وفيضان جارف تارة أخرى ، وما أصاب أشجارها من تقطيع وتدمير ، وفيما أصيب به زراعها من إنهاك وخمول ، وفى الموت الذى يحصد أطفالها حصداً ، وفى عمالها الذين يكدحون فى المصانع كالعبيد كدحاً يضعفهم ويهد قواهم ، وفى مدنها القذرة التى تتفشى فيها الأمراض ، وتفرض على بيوتها أفدح الضرائب ، وفى الرشوة المنتشرة فى تجارتها ، وفى صناعاتها التى يسيطر الأجانب عليها ، وفى فساد حكومتها ، وضعف وسائل الدفاع عن بلادها ، وفى أهلها الذين تفرقوا شيعاً وأحزاباً وامتلأت قلوبهم غلا وحقداً ، إذا ما فكر فى هذا كله هاله الأمر فلا يدرى هل تستطيع الصين أن تستعيد عظمتها الماضية ، وهل فى مقدورها أن تمتص مرة أخرى فاتحيها وتمثلهم فى جسمها الضخم ، وتحيا من جديد حياتها النشيطة المبدعة ؟ ولكنا إذا نظرنا إليها نظرة تدقيق وإمعان رأينا من تحت هذه المظاهر السطحية عوامل النقاهة والتجديد فأراضيها الواسعة الرقعة المختلفة الأنواع غنية بمعادنها الكفيلة بأن تجعلها بلداً صناعياً عظيما ، وقد لا يكون فيها من الثروة المعدنية ما قدره رختوفن ، ولكن فيها بلا ريب أكثر مما كشفت عنه البحوث التجريبية فى هذه الأيام . وإذا ما تسربت الصناعة إلى داخل البلاد فستكشف عن خامات ومواد للوقود لا يتصور الناس

الآن أنها توجد فيها ، كما لم يكن أحد يتصور منذ قرن واحد ما فى أمريكا من ثروة معدنية ومن وقود . أما عن قواها المعنوية فإن هذه الأمة التى مرت عليها ثلاثة آلاف عام سمت فيها إلى المجد تارة وتردت فى مهاوى الشقاء تارة أخرى ، وتوالت عليها فترات موت وبعث ، إن هذه الأمة لتظهر فيها اليوم كل دلائل الحيوية المادية والمعنوية التى تتبينها فى أكثر عهودها إبداعا وإنتاجا . وليس فى العالم كله شعب أكثر من هذا الشعب نشاطا وذكاء ، وليس فيه شعب يماثله فى قدرته على التكيف حسب ما يواجهه من الظروف ، وفى مقاومته للأمراض ، وفى انتعاشه بعد الكوارث والآلام ، شعب علّمه تاريخه الطويل الصبر على الأرزاء والخروج منها سالما على مر الأيام . وليس فى الخيال أن يتصور ما يخبئه المستقبل لحضارة تمتزج فيها الموارد المادية والطاقة البشرية والعقلية لهذا الشعب والوسائل والأدوات الفنية التى أوجدتها الصناعة الحديثة .

وأكبر الظن أن الصين ستنتج من الثروة ما لم تنتجه قارة من القارات حتى أمريكا نفسها ، وأن الصين ستتزعم العالم فى نعيم الحياة وفنها كما تزعمته مراراً فى الزمن القديم فى التنعم وفى فنون الحياة .

ذلك أن الهزائم الحربية واستبداد الأموال الأجنبية مهما قست لا تستطيع أن تكبت إلى مدى طويل روح أمة غنية فى مواردها وفى حيويتها ، بل سيخسر المغير عليها ماله وينفد صبره قبل أن تستنفد البلاد قدرتها على التكاثر ؛ ولن يمضى قرن واحد من الزمان حتى تكون الصين قد امتصت فاتحيها وهضمتهم وحضرتهم بحضارتها ، وتعلمت جميع الفنون التى سيطلق عليها إلى وقت قصير اسم الصناعة الحديثة . وسوف توحّد الطرق وسبل الاتصال أجزاءها ، وتمدها أساليب الاقتصاد والادخار بحاجتها من المال ، وستعيد إليها الحكومة القوية السلم والنظام . ويقيننا أن الفوضى مهما اشتدت ليست إلا أمراً عارضاً مصيره إلى الزوال ، ثم يتوازن

الاضطراب آخر الأمر مع الطغيان ويتعادلان ، وحينئذ تُكتسح العوائق القديمة وتنمو البلاد نماء حُرًّا جديداً . إن الثورة كالموت هى اكتساح الأقذار ، وبتر الذى لا نفع فيه ؛ وهى لا تقوم إلا إذا كان فى البلد الذى تقوم به أشياء كثيرة فى دور الاحتضار . ولقد ماتت الصين مراراً من قبل ، ثم عادت وولدت من جديد .

(انتهى)

المراجع†

الباب الثالث والعشرون

1. I am Indebted for this quotation from the *Book of Rites* to Upton Close. Cf. Gowen and Hall, *Outline History of China*, 60; Hirth, F., *Ancient History of China*, 155.

1a. Reichwein, A., China and Europe: *Intellectual and Artistic Contacts in the Eighteenth century*, 92.

2. Ibid., 89f; Voltaire, Works, New York, 1927, xiii, 19.

3. Keyserling, *Creative Understanding*, 122, 203; *Travel Diary*, ii, 67, 58, 50, 57, 48, 68.

4. Lippert, 91; Keyserling, Travel Diary, ii, 58.

5. Smith, A.H., *Chinese Characteristics*, 98.

6. Giles, H., *Gems of Chinese Literature Prose*, 119.

7. Williams, S. Wells, *Middle Kingdom*, i, 5; Brinkley, Capt. F., *China : Its History, Arts and Literature*, x, 3.

8. Ibid., 2; Hall, J. W., *Eminent Asians*, 41.

10, Pitard, 397: Buxton, 158; Granet, *Chinese Civilization*, New York, 1930, 63; Latourette, K.S., *The Chinese: Their History and culture*, 35-6; New York *Times*, Feb, 15. 1933.

11. Lowie, 182; Fergusson, J., *History of Indian and Eastren Architecture*. ii, 468; Legendre, A. F., *Modern Chinese Civilization*, 234; Granet, 64.

12. Ibid., 215, 280.

13. Gowen and Hall, 26-7.

14. Confucuis (?) *Book of History*, rendered and compiled by W. G. Old, 20-1.

15. Giles, *Gems*, 72.

16. Hirth, 40.

17. Ibid., 53-7.

18. Willhelm. R., *Short Histopy of Chinese Civilization*, 124; Granet, 86.

19. Ibid., 87.

20. Confucius, *Analects*, XIV, xviii, 2, in Legge, Jas, *Chinese Classics, Vol*, I : *Life and Teachings of Confucius*.

21. Legge, 213n

22. Airth, 107-8, Latourette, i, 57, Gowen and Hall, 64; Schneider, H., ii, 796-8.

23. Granen, 78.

28. Granet, 78.

24. Ibid., 32-3; Hu Shih, *Development of the Logical Method in Ancient China*, 22, Latourette, ii, 52.

25. Ibid , 58-9; Granet, 87-8; Hirth,

(†) سنثبت اسم الكتاب كاملا عند أول وروده فى هذه القائمة ثم نكتفى بعد ذلك بذكره مختصراً

110.

26. Giles, H.A., *History of Chinese Literature*, 5

27. *Book of Odes*, I, x,8, and xii, 10, in Hu Shih, Pt. I, p. 4.

28. Cranmer-Byng, L., *The Book of Odes*, 51.

29. Tr. by Helen Waddell in Van Dorren, *Anthology of World Poetry*, 1.

30. In Yang Chu's *Garden of Pleasure*, 64.

31. Fenollosa E.F., *Epochs of Chinese and Japanese Art*, 14, Hirth, 59-62; Hu Shih, 28f; Suzuki, D. T., *Brief History of Early Chinese Philosophy*, 14; Murdoch, Jas., *History of Japan*, iii, 108.

32. Hu Snih, 12

33. Legge, 75n.

34. In Hu Shih, 12.

35. Ibid., 13.

36. Ibid., 12.

37. Giles, *History*, 57; Legge, Jas., *The Text of Taosim*, i, 4-5.

38. Giles, *History*, 57, Giles *Gems*, 55.

39. Legge, *Texts of Taoism*, i, 4f.

40. II, lxxxi, 3, I, lxv, 1-2.

41. In Suzuki, 81.

42. II, lvii, 2-3, lxxx, Parenthetica-passages, in this and other quotations, are usually explanatory interpolations, nearly always of the translatior.

43. Yung Chu, 16, 19, Schlender, ii, 810; Hu Shih, 14, Wilelm, *Short History*, 247.

44. I, xvi 1-2.

45. I, xiiii, 1; xlix, 2: lxi, 2, lxiii, 1, lxxvlii, 1, lxxxi, 1, Giles, *History*, 73.

46. II, lxi, 2.

47. II, lvi, 1-2.

48. Granet, 55.

49. II, lvi, 2.

50. I, xvi, I, II, lvi, 3, Parmelee. 43.

51. Legge, *Texts of Taoism*, 34, *Life and Teachings of Confucius*, 64.

61. Legge, *Texts*, 84.

62. Ibid.

63. Szuma Ch'inn in Legge, *Life*, 53n.

64. Ibid.

65. Legge, *Life*, 55-8, Wilhelm, R., *Soul af China*, 104.

66. Hirth, 229.

67. *Analects*, VII, xiii.

68. VIII, viii.

69. XV, xv.

70. VII, viii.

71. VII, xii,

72. VI, ii, XI, iii.

73. XVII, xvii, XIV, xivi.

74. Legge, *Life*, 65.

75. Ibid., 79.

76. V, xxvii.

77. VII. xxxii.

78. XIII, x.

79. IX, iv.

80. VII, i.

81. IV, xiv.

82. Legge, *Life*, 67.

83. XII, xi

84. Legge, *Life*, 68.

85. Ibid., 72.

86. Ibid., 75.

87. IX, xvii.

88. Legg, 83.

89. Ibid. 82.

90. XV, xviii.

91. II, iv.

92. Legge, 82.

93. Mencius. *Works of*, tr. by Legge, III, 1, iv, 13.

94. Wilhelm, *Short History*, 148, Legge, *Life*, 16.
95. Ibid., 267, 27, Hu Shih, 4.
96. XV, 40.
97. II, xvii.
98. XIII. iii,
99. III, xiii, 2.
100. IX, xv.
101. Legge, *Life*, 101, Giles, *History*, 33, Suzuki, 20.
102. Legge, 101.
103. XI, xi.
104. VI, 20.
105. VII. 20.
106. Giles, *History*, 69.
107. XV. ii.
108. *Great Learning*, 1,4-5. in Legge, *Life*, 266. I have ventured to change "illustrate illustrious virtue" in Legge's translation, to "illustrate the highest virtue", and the words "own selves" have been substitituted for "Persons," since "the cultivation of the person" has now a misleading connotation.
109. XIV, xiv.
110. XV, xxxi, II, xiv, XIII, iii, 7.
111. VI, xvi.
112. *Doctrine of the Mean*, XII, 4, in Legee.
113. *Analects*, II, xii.
114. *Doctrine of the Mean*, XIV, 5.
115. XV, xviii-xx.
116. XIV, xxix, XI, xiii, 3, *D. of M.*, XXXIII, 2.
117. Ibid., XI, 8.
118. *Li-chi*, XVII, i, 11-2.
119. Spinoza, *Ethics*, Bk. III, ProP. 59.
120. *D. of M.*, XXIX, tr. by Suzuki, 64.
121. Suzuki, 68.
122. *Analects*, XII, ii, V, xvi.
123. XV, xxiii,
124. XIV, xxxvi, 1-2.
124a. IV, xvii.
124b. XII, vi.
125. XIII, xxiii.
126. *D. of M.*, XIV, 3.
127. IV, xxiv, V, iii, 2, XVII, vi, XV, xxi.
128. V, xvi, XVI, iii, 5.
129. XVI. 10.
130. I, ii, 2, Legge, *Life*, 106.
131. IV, xviii, *Li-Chi*, XII, i. 15, Brown, B., *Story of Confucius*, 183.
132. *Great Learning*, X, 5.
133. *Analects*, XII, vii.
134. XII, xix, II, ii, xx.
135. XII, xxiii, 3.
136. *D. of M.*, XX, 4.
137. *Analects*, XIII, x-xii.
138. *Great Learning*. X, 9.
139. *Analects*, XII, xix, XV, xxxviii,
140. *Li chi*, XVII, i, 28, iii. 23, Brown, *Story of Confucius*, 181.
141. *Analects*, XX, iii, 3.
142 *Li-Chi*, XXVII, 33, XXIII, 7-8.
143. Ibid., VII, i, 2-8, quoted in Dowson, *Ethics of Confucius*, 299, from Chen Heang-chang. *The Economic Principles of Confucius and School.*
144. Latourette, i, 80-1.
145. Legge, *Life*, 106.
146. *D. of M.*, XXX-XXXI.
147. Hu Shih109, f.
148. Hirth, 807.
149. Mencus, VII, i, 26, in Hu Shih, 58.
150. Hu Shih, 72.
151. Ibid., 57, 76, Latourette, i, 78.

152. In Hirth. 281.
153. Hu Shih, 69-70.
154. Thomas. E. D., *Chinese political Thought*, 29-30.
155. Hu Shih, 58.
156. Mencius, Introd., 111.
157. Withelm *Short History*, 150, Hu Shih 110.
158. Hu Shih, 62.
159. Mencius. Introd., 93.
160. Yang Chu, 10, 51, Latourette, i, 80.
161. Mencius, Introd., 96, Yang Chu, 57.
162. Mencius, Introd., 96-8.
163. Hirth, 27-9.
164. Mencius, III, ii, 9.
165. Mencius, Intrd., 14-18.
166. Ibid., 42.
167. Ibid., I, ii 8, II, 5: pp. 156, 162.
168. Ibid., 12.
169. VI, I, 7.
170. I, i, 7.
171. III, i, 3.
172. I, i, 3.
173. II, i, 5.
174. Thomas, E.D., 87, Williams, S. Wells, i, 670.
175. IV, ii, 19.
176. Mencius, Introd., 30-1.
177. VI, ii, 4.
178. VII, ii, 4.
179. Quoted in Thomas, E. D., 87.
180. I, i, 3.
181. II, ii, 4.
182. VII, ii, 14.
183. V, ii, 9, I, ii, 6-8.
184. Mencius., Introd., 84.
185. Ibid., 79-80.
186. Ibid., 86.
187. In Hu Shih, 152.
188. Legge, Texts of Taoism, V, 5.
189. Ibid., Introd., 87.
190. XVII, 11.
191. I Thomas, E. D., 100.
192. XI, 1.
193. XVI, 2, IX, 2.
194. XII, 11.
195. XII, 2.
196. II, 2, XX, 7, Giles, *Gems*, 32.
197. II, 7, XXII, 5.
198. VI, 7.
199. In Suzuki, 86.
200. XVII, 4, Hu Shih, 146.
201. XVIII, 6.
202. II, 11, tr. by Giles, *History* 63
203. VI, 10, tr. by Suzuki, 181-2.
204. In Giles, *History*, 68.
205. In Reichwein 79f.
206. Ibid.
207. Ibid., 84.
208. Wilheim, *Soul of China*, 233.
209. Thomas, E.D., 25.
210. Voltaire, *Works*, iv, 82.
211. Reichwein, 181, Hirth, xii.

الباب الرابع والعشرون

1. Giles, *Gems*, 33.
2. Granet, 87, Gowen and Hall, 84, Giles, *History*, 78.
3. Granet, 41.
4. Voltaire, *Works*, iv. 82.
5. Granet, 87, 97-8, 101-3, Boulger, D. C., *History of China*, i, 68-70 Wilhelm, *Short History*, 157.
6. Boulger, i, 71.
7. Granet, 38.

8 Ibid.
9. Ibid., 103; Schneider ii, 790; Wilhelm, *Short History*, 160-1; Lautourette i, 96.
10. Gowen and Hall,. 84f, Giles, *History*, 78.
11. Hail J. W., *Emin nt Asians*, 6.
12. Boulger, i, 64.
13. Ibid., 62, Latourette, i, 99.
14. Granet; 38-40, Boulger i, 77. Giles in G(owen) & H (all),92.
15. Boulger, i, 106, Granet, 44.
16. Szuma Ch'ien in Granet, 113.
17, Ibid.
18. Granet, 112-3.
19. Ibid., 118.
20. Fenollosa, i, 77.
21. Walley, Arther *Introduction to the Study of chinese Paining*, 27, O.H. 102.
22. Granet, 113-5.
23. Wilhelm, *Short History*, 186,194.
24. Lautourette, i, 121.
25. Ibid., 129-2.
26. Ibid., 122.
27. G & H, 118.
28. Ibid., 117-21.
29. Fenollosa, i, 117.
30. Voltaire, *Works*, xiii, 26.
31. Tu Fu, *Poems*, tr. by Edna W. Under-wood, xli
32. Li-Po, *Works*, done into English Verse by Shigeyoshi Obata, 91.
33. Tu Fu, xlvii.
34. In Li-Po. 1.
35. In Tu Fu, xii.
36. Murdoch,*History of Japan*,i, 146.
37, Waley. *Chinese Paninting*, 142.
38. Ibid., 97.
39. William, *Short History*, 224.
40. Williams, S. Wells, i, 696f.
41. Li-Po, 20.
42. Ibid., 95.
43. Ibid., 30.
44. Williams, S. Wells, i, 697.
45. Li-Po, 31.
46. G & H, 113.
47. Li-Po, 100.
48. Ibid., 84.
49. 138.
50. 191.
51. 71.
52. 55.
53. Ibid., ii.
54. Ibid.,
55. Ibid., 25.
56. Giles, *History*, 50.
57. Translations by Arthur Waley Amy Lowell and Florence Ayscough, in Van Deren, *Anthology*, 18-20.
58. Waley,Arthur,170 *ChinesePoems*, 106-8.
59. Ibid , 126.
60. Ibid., 168.
61, In Van Doren, 24.
62. Giles, *History*, 156; Ayscogh, Florence, *Tu Fu : The Autobiography of a Chinese Poet.*, 105.
63. Ibid., 75.
64. Tu Fu, *Poems*, 118, 184, 154.
65. Ibid., 95,
66. 30, 7, 132.
67. 137.
68. 72, 133, and introd.
69. Williams, S. Wells, i, 602,
70. Giles, *History*, 276.
71. Ibid., 102.
72. Ibid.
73. Thomas, E. D, 5.
74. Giles, *History*, 224.
75. Ibid., 160.
76. G & H, 156.
77. Wilhelm,*Short History*,256;Giles,

History, 268.
78. William, S. Wells, i, 870; Latourette, ii, 220.
79. Ibid.,
80. William, 141.
81. Pratt, *History of Music*, 82-5.
82. Giles, *Gems*, 117.

الباب الخامس والعشرون

1. G & H, 142.
2. Ibid., 141.
3. Ibid., 140-3 ; Latourette, i, 252-7; Wilhelm, 237 - 8 ; Murdoch, iii, 106; Fenollosa, ii, ii, 33, 57.
4. G & H, 133, quoting Walter T. Swingle, Librarian of the U.S. Dept. of Agriculture.
5. Carter, *Invention of printing* 2.
6. Ibid., 3.
7. Ibid., 96.
8. Sarton, 869.
9. Carter ; 25.
10. Ibid., 145 ; Sarton, 512.
11. Carter, 41.
12. Ibid., 43, 183.
13. G & H, 183.
14. Carter, 250.
15. Ibid., 178, 171.
16. Ibid. 177-8 ; Sarton, 663.
17. Ibid.; G & H, 164 ; Giles, *History* 296.
18. Chu Hsi, *Philosophy* of *Human Nature*, 75 ; Bryan, J. J , *Literature of Japan*, 122 ; Latourtte, I, 262-3; Williams, S. Wells, i, 683 ; Wilhelm, *Short History*, 249-50, Aston, W.G., *History of Japanese Literature*, 226-7.
19. Chu Hsi, 68.
20. Wilhelm, 2249-50.
21. Wang Yang-ming, *Pihilosophy* tr. by Frodk, G. Henke, 117-8.
22. Armstrong, R.C., *Light from the East : Studies in Japanese Confucianism*, 121, Brinkley, Cadt. F., *Japan : Its History, Arts and Literature*, iv, 125.
23. Wang Yang-Ming, 8, 12, 50, 59.
24. Brinkely, *Japan*, iv, 125.
25. Wang Yang - Ming, 106, 52.
26. Ibid., 115-6.
27. Hobson, R. L., *Chinese Art*, 14.
28. *Encyc, Brit.*, xiii, 575.
29. Cf. the imperial marriage table in Hobson, R.L., Pl. LXXXIII.
30. Ibid., XCI.
31. Illustrated in *Encyc, Brit.*, xiii, f. p. 576.
32. Ferguson. J. C, *Outlines of Chinese Art*, 67.
33. Hobson, R. L., LXXXVIII.
34. Ibid., LXXVII, 1.
35. Lorenz, *Round the World Traveler*, 197.
36. *Encyc, Brit.*, xii, 864.
37. Fry. R.E., *Chinese Art*, 31, Oranet, 37, *Encyc, Brit.*, iv, 245.
38. *Chinese Art*, 33.
39. Fischer, Otto, 374.
40 *Encyc, Brit.*, Pl. XIV, f. p. 246, collection of Mr. Warren E. Cox.
41. *Chinese Art*, 47.
42. Faure, *History, of Art*, ii, 55.
43. *Encyc. Brit.*, v, f. p. 581.
44. Siren, O , in *Encyc, Brit.*, v. 581, *Chinese Art*, 48.
45. Stein, Sir Aurel, *Innermost Asia*,

Vol. i, Plates VIII, XI, XIX and XXIV.

46. *Encyc. Brit.*, v. f. p. 586, Plate X, 2, Fischer, 866.
47. *Encyc. Brit.*, v. f. p. 584, Pl. VI, 4.
48. Ibid., f. p. 585, Pl. VIII, 2.
49. Ibid., f. p. 586. Pl. XI 2 and 3.
50. Fergusson, Jas., *History of Indian and Eastern Architecture*, ii, 454.
51. Fergusson, Jas., in William, S. Wells, i, 727.
52. Cf the decorative design reproduced in Stein air, A., *Innermost Asia*, Vol. iii, Pl. XXV, and the patiently carved and ornamental ceiling shown in Pelliot, Vol. iv Pl CCXXV.
53. Fergusson, op. cit., ii, 464.
54. Coomarswamy, *History*, 152.
55. Witliams, S. Wells, i, 744.
56. Lorenz, 203.
57. Cook's, *Guide to Peking*, 28, 30.
58. Fergusson, ii, 481.
59. Legendre, 79.
60. Ibid., 166.
61. Smith, *Chinese Characteristics*, 134.
62. Watey, *Chinese Painting*, 69-70.
63. Siren Osvald, *Chinese Paintings in American Collectiohs*, i, 36.
64. Giles, H. A., *Introduction to the History of Chinese Pictorial Art*, 2.
65. Wilhelm, *Short History*, 38.
66. Giles, *Pictorial Art*, 3.
67. Ibid., Waley, *Chinese Painting*, 32.
68. Fenollosa, ii, p. xxx.
69. Wally, *Chinese Painting*, 45.
70. *Encyc. Brit.*, art. on "Chinese Painting." Pl. II, 6.
71. Fischer, 825-31.
72. Waley, 49.
73. Ibid., 51.
74. Giles, *Pictorial Art*, 21
75. Tu Fu, 97, cf. 175 and 187.
76. Giles, *Pictorial Art*, 79.
77. Wilhelm, 244.
78. Waley, 183.
79. Fenollosa, i, f. p. 120, Fischer, 490.
80. Ibid. 424.
81. Giles, 47-8.
82. Ibid., 50, Binyon. Li, *Flight of the Dragon*, 43.
83. Giles, 47.
84. Croce, Bene tt : *Esthetic*, 50.
85. in Waley, 119.
86. Binyon, 111.
87. Siren, i, Plates 5-8 *Encys. Brit.*, Chinese Painting," Pl. II, 4.
88. Ftnollosa, ii, 27.
89. Waley, 177.
90. G & H, 146.
91. A Chinese writer in Giles, *Pictorial Art*, 115.
92. Fischer, 492.
93. E. g, Fenollosa, ii, 42.
95. Ibid, 62.
96. Gulland, W. G,. *Chinese Porcelain*, i, 16
97. *Chinese Art*, 11.
98. Ibid., 2.
99. Hsieh Ho in Coomaraswamy, *Dance of Siva*, 43.
100. Binyon, 65-8, *China Art*, 47.
101. In Okakura-Kakuso, *The Book of Tea*, 108
102. Gulland, i, 3.
103. *Encyc Brit.*, xviii, 861.
104. Ibid., Legendre, 233.
105. *Encyc. Brit.*, xviii, 862, Carter, 93.

106. Ibid., I c.
107. Brinkly, *China*, ix, 299.
108. Ibid., 62.
109. Ibid., 87, Gulland, 139.
110. Brinkley, 75.
111. G & H, 165.
112. Brinkley, *China*, ix, 256.
113. *Encyne. Brit.*, viii, 419.
114. Brinkley, *China* in, 210, 216.
115. Ibid., 376, 554, *Encyc.*, *Brit.*, art. "Ceramtcsl'.

الباب السادس والعشرون

1. polo, Travels, 78, 188.
2. Ibid., v-vii,a perfect introduction, to which the perstnt account is much indebted.
3. Polo, 232-4.
4. 152.
5. 129.
6. G & H, 135f.
7. Giles, *History*, 248-9.
8. Polo, 172.
9. Giles, 147.
10. Polo, 158.
11. Ibid., 125.
12. 149.
13. P.xxiv of Komroff's introduction.
14. G & H. 172.
15. Ibid.
16. Latourette, i,330, Wilhelm, *Short History*, 260, G & H, 195, Giles, *History*, 291, Gulland, W. G., ii, 288.
17. G & H, 209.
18. Ibid., 227.
19. Quoled in Parmelec, 218, and in Bisland, Eizabeth *Three Wise Men of the East*, 125.
20. Wilhelm, 204, Latourette, i, 208, G & H. 286, Brinkley, *China*, x. 4.
21. Latourette, i 289.
22. Brinkley, l.c., 12.
23. Williams, S. Wells, i, 770.
24. Ibid., 762.
25. Wilhelm in Keyserling, *Book of Marriage*, 133, Waley, *Chinese Painting*, 165.
26. Legendre, 23.
27. Ibid., 75, Park, No Yong, *Making a New China*, 129.
28. Smith, *Chinese, Characteristics*, 127.
29. Polo, 286.
30. Pitkin. *Short Introduction*, 182.
32. Wilhelm, *Short History*, 64.
33. Mason, *Art of Writing*, 154-76.
34. Legendre, 76. 113.
35. Okakura, 3, 36.
36. Granet. 144-5.
37. Legendre, 114.
38. Wilhelm, *Soul of China*, 339.
40. Smith, *Characeristics*, 21, Park, No Yong, 128, Legendre, 86, Williams, S. Wells, i, 775 - 80.
41. Latourrette, i, 225.
42. Park, 121, Smith, *Characteristics*, 19.
43. Eudy, Sherwood, *Challenge of the East*, 81.
44. Giles, *Gems*. 285.
45. Murdoch, iii, 262.
46. Sarton, 452.
47. National Geographical Magazine, April. 1932, p. 511.
48. Sumner and Keller, iii, 2095.

49. Wilhelm, *Short History*, 134, Wilhelm, *Soul of China*, 361-2, G & H, 59.
50. Polo, 286.
51. Peffer, N., *China : the Collapse of a Civilization*, 25-32, Parmelee, 101, Legendre, 57.
52. Williams, S. Wells, i. 413, Wilhelm, *Short History*, 11.
53. Park, 85, G & H, 290.
54. Park, 67.
55. Latourette, ii, 206, G & H, 2-3.
56. Renard, 161.
57. Park, 92.
58. Summer, *Folkways*, 153, Latourette, i, 63.
59. Ibid., 252.
60. Polo, 159, Carter, 77.
61. Carter, 92.
62. Hirth, 126f.
63. Ibid.,
64. Darter, 93.
65. Polo, 170n.
66. Legendre, 107-10.
67. Sarton, 871, 676, Schneider, ii, 860.
68. Sarton, 183, 410.
69. Waley, *Chinese Painting*, 30.
70. Schneider, ii, 837.
71. Voltaire, *Works*, iv, 82, Hirth, 119, Wilhelm, *Soul*, 306.
72. Garrison, 73, Schneider, ii, 859, Sarton, 810, 825, 342.
73. Ibid., 436, 481, Garrison, 73.
74. Latourette, 813, Garrison, 75.
75. Williams, S. Wells, 785, Legendre, 56.
76. Wilhelm *Short History*, 79, 81 ; Smith, *Characteristics*, 290, 297; Spengler, O., *Decline of the West*, ii, 286, Granet, 168, Latourette, ii, 168-5.
77. Smith, *Characteristics*, 892, Suzuki, 47, 112, 139, Wilhelm, *Short History*, 69.
78. Hirth, 81.
79. Ibid., 118, Smith, 164, 331.
80. Garent, 321.
81. Wilhelm, *Soul*, 125.
82. Legge, *Tests of Taoism*, i, 41.
83. Suzuki, 72, Wilhelm, *Short History*, 248.
84. Waley, *Chinese Planting*, 28.
85. Potter, Chas, F. *History of Religion*, 198.
86. Wilhelm, *Soul*, 857, Murnoch, iii, 104, Waley, 33-4, 79, Sarton, 470, Latourette, i, 171, 214, ii. 154-5, G & H, 104, Schneider, ii, 803.
87. Smith, *Characteristics*., 89, Latourette, ii, 129, Parmelee, 81
88. Smith, 304, Legendre, 191.
89. Wilhelm, *Short History*, 234, Lorenz, 202.
90. G & H, 118, 527.
91. Fenollosa, ii, 149.
92. Voltaire. *Works*, xiii, 29.
93. Quoted by Wilhelm in Keyserling *Book of Marriage*, 137.
94. Mencius, IV, I, 26.
95. Latourette, ii, 197, Garnet, 321, Williams, S. Wells, i, 836, Legendre, 26.
96. Wilkelm, in Keyeserling, 137, Wilhelm, *Soul*, 22, Wilhelm, *Shor' History*, 104, Smith. 213,
97. Granet, 345, Williams, S. Wells, i, 836, Westermarck, *Morat Ideos*, i, 462, Ellis, H., *Studies in the Psychology of Sex*, vol, ii, *Sexual Inversion*, 6f.
98. Briffault, iii, 846.

99. Ibid., Wilhelm in Keyserling, 126.
100. Williams, S. Wells, i, 834.
101. Brinkley, *China*, x, 101.
102. Polo, 134, 152, 235.
103. Parmelee, 182; Brifault, ii, 333.
104. Li-Po, 152.
105. Waley, 170 *Chinese Poems*, 19; Keyserling, *Travel Diary*, ii, 97.
106. Hirih, 116.
107. Williams, S. Wells, 785.
108. Ibid., 787-90.
109. Wilhelm, in Keyserling, *Book of Marriage*, 184.
110. Briifault, ii, 263.
111. Williams, S. Wells i, 407-8.
112. Park, 133.
113. Wilhelm, *Short History*, 59; Wilhelm, in Keyserling, 123; Brilfautt, i, 362f.
114. Thomas, E.D, 134; Brilfault, i, 368.
115. Granet, 43.
116. Brilfauli, ii, ii, 331.
117. Granmer-Byng, *The Book of Odes* 11; Gils, *History*, 108, 274,
118. Smith, 194, Sumner and Keller, iii, 1764, Legendre, 18.
119. *Li-Chi*, IX, iii, 7; Smith, 215; Sumner and Keller, ii, 1844.
120. In Briffault, ii, 331.
121. Waley, 170 *Chinese Poems*, 94.
122. Armstrong, 56.
123. Williams, S. Wells, i. 825.
124. Westermark, *Moral Ideas*, i. 89. Keyserling, *Travel Diary*, ii, 65, Smith, 192, Legender, 122.
125. Wilhelm, *Soul*, 309.
126. Voltaire, *Works*, xiii, 19.
127. Brinkley, *China*, x, 37, 44, 49.
128. Smith, 225.
129. Thomas, E. D., 236, Williams, S. Wells, i, 504, Latourette, ii, 46.
130. Garrison, 75.
131. Williams, i, 391-2, Latorette, ii, 46.
132. Williams, ii, 512, Hirth, 125, Wilhelm, *Soul*, 19.
133. Brinkely, i.c., 3.
134. Ibid., 78.
136. Ibid., 92.
137. Williams, i, 544.
138. Legendre, 158, Hall, J. W., *Eminent Asians*, 35.
139. Williams, i, 569.
140. Latourette ii, 21; Brinkley, *China*, x, 86.

الباب السابع والعشرون

1. Latourette, i, 313.
2. Lorenz, 248.
3. Latourette, i, 314.
4. Lorenz, 248, G & H, 233.
5. Norton, H. K., *China and the Powers*, 55, Latourette. i, 367, Poffer, 57,
6. Latourette, i, 376, Norton, 56.
7. Park, 149.
8. Peffer, 88f, Latourette, i, 413.
9. G & H, 306.
10. Hall, *Eminent Asians*, 17, Peffer, 151.
11. Latourette, i, 411.

12. Hall, 33.
13. Peffer, 93
14. G & H, 814.
15. N.Y. *Times*, Feb, 11, 1934.
16. Eddy, *Challenge of the East*, 73.
18. Park, 86.
19. Latourette, ii, 93-6.
20. Eddy, 74.
21. Park, 89.
22. Eddy, 89.
23. Peffer, 241.
24. Peffer, 251.
25. *Modern Review*, Calcutta, May 1, 1931.
26. Peffer, 185.
27. Latourette, ii, 174.
29. Ibid., 176.
30. Parmelee 94.
31. Park, 135, Lorenz, 192.
32. Wu, Chao-chu, *The Nationalist Program for China*, 28.
33. Legendre, 240.
34. Park, 114.
35. Close, Upton, *Revolt of Asia*, 245.
36. Lorenz, 250.
38. Hu Shih, 8.
39. Ibid., 7